

المحتويات

ملخص	3
مقدمة	3
أولاً: محطات في التاريخ السياسي للحراك الكردي السوري	4
1- تأسيس الأحزاب	4
2- حرب العراق و"ميلاد فكرة الفدرالية"	6
3- تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي	6
4- سيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي على المنطقة بعد الثورة	7
5- تأسيس المجلس الوطني الكردي	7
ثانياً: المنهجية السياسية والفدرالية بوصفها هدفاً استراتيجياً	8
1- مفهوم الفدرالية	8
2- فدرالية حزب الاتحاد الديمقراطي	9
3- فدرالية المجلس الوطني الكردي	12
ثالثاً: مستقبل المنطقة والمعادلات الإقليمية والدولية	13
1- موقع المنطقة الجيوسياسي والاقتصادي	13
2- التوجه الأميركي والدولي حيال الملف الكردي السوري	17
اقتناص حصة من النفط السوري	17
حماية أمن إسرائيل	19
استراتيجية الاحتواء والتطويق ضد الجماعات الإرهابية	19
رابعاً: سيناريوهات السياسة المستقبلية للولايات المتحدة في سورية	20
1- سيناريو الانتشار التشاركي	20
2- سيناريو الانسحاب الكامل من الأراضي السورية	26
خامساً: سيناريوهات الحوكمة في منطقة شمالي شرق سورية	26

26	1- سيناريو الاستقلال التام.....
28	2- سيناريو الحكم الكونفدرالي
28	3- سيناريو الحكم الذاتي " كردستان العراق "
30	4- سيناريو "الفدرالية النسبية"
34	خاتمة

ملخص

مع سيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي - في مطلع عام 2012 - على مساحاتٍ واسعةٍ من المنطقة الشمالية الشرقية لسورية، أخذت التوقعات تتجه نحو احتمال اتجاه الحزب ذي الارتباطات العضوية المنهجية والسياسية بحزب العمال الكردستاني "الكردي التركي"، لتأسيس دولة كردية أو حكم ذاتي كردي مُستقل عن دمشق وسلطات سيادية واسعة. وازداد هذا التوجه صوابًا نتيجة تعاون الاتحاد الديمقراطي مع قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات الأمريكية المتحدة، حيث شاعت حينها مقولة مفادها: "من تحالف مع الولايات المتحدة، فقد نال ما يرنو إليه".

لكن بالتزامن مع اتجاه الأزمة السورية نحو عملية تسوية شاملة، أظهرت الولايات المتحدة - عبر ميلها إلى رفع "الصفة الهوياتية العرقية" عن دعمها بالاتجاه نحو تأسيس قوات سوريا الديمقراطية التي تحتضن أكرادًا وعربًا وسريانًا وتركمانيًا، وميلها إلى تحقيق مسار توافق مع روسيا ذات الكعب السياسي العالي في مسار تسوية القضية السورية - رغبتها في إحراز حلٍ يضمن لها مصالحها ونفوذها المباشر أو غير المباشر في المنطقة الشمالية الشرقية ذات الأهمية الاستراتيجية، بمعزلٍ عن التوجه إلى دعم ما يصبو إليه الاتحاد الديمقراطي.

وما يزيد من عقلانية السيناريو الذي يطرح اتجاه الولايات المتحدة لعدم دعم توجه حزب الاتحاد الديمقراطي بالكامل وصوابيته، الإشارة إلى أن الولايات المتحدة لم تدعم الاستقلال الكامل لكردستان العراق الذي يملك مقدرات نفطية أكثر كثيرًا من المنطقة الشمالية الشرقية في سورية. فقد أظهر التوجه الأمريكي المذكور عدم رغبة الإدارة الأمريكية في الدخول في معارك جيوسياسية مع الدول الإقليمية وروسيا، قد تكون - على الأرجح - خاسرةً فيها، نتيجة ميل هذه الدول إلى التعاضد التكاملي الوثيق في سبيل التصدي لأي استقلال كردي كامل أو شبه كامل سواء في سورية أم العراق، لما يشكّله الأمر من خطرٍ على أمنها القومي وطموحها الجيوسياسية.

مقدمة

باتجاه الأزمة السورية نحو عملية تسوية تصب في مصلحة نظام الأسد وحلفائه على حساب الأطراف الأخرى، باتت منطقتنا إدلب - التي تضم المعارضين الراضين لعملية المصالحة - وشمال شرق سورية - التي تخضع لسيطرة كردية بدعمٍ أميركيٍّ دوليٍّ - المسألتين الفاعلتين في الساحة السورية. وفيما يُذهب إلى سيناريو توافق تركيا وروسيا بخصوص منطقة إدلب، لإتمام عملية التسوية على نحوٍ توافقيٍّ يضمن حلًّا استراتيجيًّا، تكتسب منطقة السيطرة الكردية تعقيدات محلية وإقليمية ودولية مردها إلى الخلاف الكردي - الكردي، والرفض التركي القاطع لأي مكسب سياسي كبير يحظى به الكرد في سورية، لا سيما حزب الاتحاد الديمقراطي الذي تتهمه تركيا بالتبعية لحزب العمال الكردستاني، وأخيرًا التعقيد الدولي الناتج من تعدد

خيوط التحرك الدولي حيال هذه المناطق ذات الأغلبية الكردية التي تقع -بشكلٍ أساسي- تحت سيطرة وحدات حماية الشعب، وتحت ظلال النفوذ الأميركي.

وفي إطار ذلك، طرحت (الفدرالية) من الكُتلتين الكرديتين الأبرز في سورية؛ حركة المجتمع الديمقراطي من جهة وأبرز مكوناته حزب الاتحاد الديمقراطي، والمجلس الوطني الكردي من جهة ثانية، لكن بتوجهات مختلفة نسبياً، كحلٍ لمأل المنطقة. لكن يشوب هذا الحل خلاف كبير بين الطرفين، فالاتحاد الديمقراطي يُنادي بالفدرالية الجغرافية، والوطني الكردي يُنادي بالفدرالية القومية. وتُعارض فكرته عددًا من الأطراف الفاعلة، لا سيما روسيا وإيران وتركيا.

أيضاً، لم تتضح أي مؤشرات دعم أميركي فعلية وواضحة تُبيّن طبيعة الصيغة التي قد تدعمها في عملية تأسيس الحوكمة الخاصة بتلك المنطقة. ومن هنا تنبع أهمية الدراسة، حيث ترمي إلى سبر أغوار التوجهات والمواقف والسيناريوهات المتعلقة بمصير منطقة يُسيطر عليها من وحدات الحماية.

وعلى ذلك الأساس، تتألف الدراسة من 4 محاور؛ المحور الأول ينظر في المحطات الأساسية لمسار التاريخ السياسي للحراك الكردي السوري السياسي، والمحور الثاني يرصد أسس المنهجية السياسية والهدف الاستراتيجي للحركات الكردية الفاعلة، والمحور الثالث يحوي مميزات المنطقة، والتوجهات الدولية والإقليمية والشعبية "الكردية" التي تعكس السيناريوهات المتوقعة في ما يتعلق بمسألة الحوكمة التي ستكون قائمة في مناطق شرق الفرات ذات الكثافة الكردية على وجه التحديد.

أولاً: محطات في التاريخ السياسي للحراك الكردي السوري

1- تأسيس الأحزاب

يعود تاريخ تأسيس أول حزب كردي في سورية إلى 14 حزيران/ يونيو عام 1957، علي يد مجموعة من المثقفين الكرد منهم؛ رشيد حمو وأوصمان صبري ومحمد علي خوجة وخليل محمد، وعبد الحميد درويش بقيادة نور الدين زازا.¹

لكن ما لبث الحزب أن تعرض لأولى نكساته، بعد أن زجت حكومة الوحدة في خمسينيات القرن المنصرم بقياداته وكوادره معظمها في السجن، وذلك في إثر الموقف المؤيد للحزب لحركة عبد الكريم قاسم في العراق، وفي السجن بدأت رحلة الانشقاقات داخل الحزب السياسي الكردي الأول في سورية.²

شكّلت حملة الاعتقال أيام الوحدة السورية المصرية بحق قادة الصف الأول وكوادره في الحزب نقطة فارقة في حياة الحزب الكردي الأول، فبدأت الخلافات بين قادة الحزب داخل السجن. وقد تمحور الخلاف بينهم حول إفادات بعض القادة أمام قاضي التحقيق، حيال أهداف الحزب وماهيته، وبذلك تشكّل داخل الحزب تياران رئيسيان؛ الأول تزعمه الدكتور نور الدين زازا الذي مال إلى النشاط الثقافي، وطالب بالحقوق

¹ علي شمدين، الحركة الكردية في سورية وظاهرة الانشقاقات (1916-2016)، ط1، (1)، (د.ن، د.ت)، ص 17-18.
² محمد ملا أحمد، صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سورية، ط1، (أربيل: منشورات رابطة 11 كلوا، 2001)، ص 75-76.

الثقافية للکرد في سورية، فيما تزعم أوصمان صبري التيار المقابل الذي تبنى شعارات قومية كردية، وبالأخص شعار "توحيد كردستان وتحريرها"³، وهنا أصبح الحزب بين تيارين يشد كل منهما الحبل إلى جانبه، الأول يفضل التوجه إلى العمق السوري محملين بأفكار تجد أن الحل لقضية الكرد في سورية يكون في دمشق، فيما كان التيار يسحب الحبل تجاه العمق الكردستاني بخاصة إلى تركيا والعراق حيث مراكز الثقل الكردي.⁴

تفاقم الخلاف بين التيارين بعد أن خرجت قيادة الحزب من السجن، ومن ثم شهد الحزب أول انشقاق في صفوفه في 5 آب/ أغسطس عام 1965، وانقسمت الخريطة السياسية لكرد سورية إلى تيارين يميني ويساري، بحيث سمي جناح أوصمان صبري باليسار، والتيار المقابل باليمين.⁵

حاول الحزب الديمقراطي الكردستاني، أن يتدخل لحل الإشكالات بين التيارين، داعياً قيادة الحزبين، إضافة إلى مجموعة من الشخصيات الاجتماعية الكردية، إلى مؤتمر في منطقة نوبردان في إقليم كردستان العراق. وعلى هامش المؤتمر، توصل المؤتمر إلى اتفاق يقضي بإعادة توحيد الحزبين بإشراف من قيادة موقته من الشخصيات المستقلة غير المنضوية في صفوف الحزبين.⁶ لكن ما لبث أن دب الخلاف بينهم مرة أخرى، والجديد أن القيادة الموقته (المرحلية)، إضافة إلى قادة وكوادر من الحزبين، أصبحوا تياراً ثالثاً، وأعلنوا حزباً جديداً باسم البارتي تيمناً باسم الحزب الذي يقوده بارزاني في العراق.⁷ لتشهد الحركة الكردية في سورية انشقاقات عدة ضمن صفوف أحزابها، وتنسب اليوم تلك الأحزاب ذاتها إلى الحزب الأول الذي أسس سنة 1957.

وشهدت نهاية السبعينات وبدايات الثمانينيات من القرن الماضي تطورات كان لها الأثر البالغ في المشهد السياسي الكردي، وأبرز تلك الحوادث، لجوء قادة حزب العمال الكردستاني وكوادره بزعامة عبد الله أوجلان إلى سورية، تحديداً منطقة البقاع؛ حيث الحدود اللبنانية السورية. وفي تلك المنطقة بدأت علاقة حزب العمال الكردستاني مع المنظمات الفلسطينية التي وفرت له أماكن للتدريب والسلاح.⁸ واستمرت العلاقة على ذلك، إلى أن استقبلته دمشق، نتيجة حالة التوتر بينها وبين أنقرة. وقد استفاد الحزب آنذاك من حالة التوتر المذكورة، ليجد لنفسه موطن قدم في سورية. واستقر زعيم العمال الكردستاني في دمشق، وأنشأ الحزب معسكرات تدريب له في سورية ولبنان التي كانت ترزح حينها تحت حكم العسكر السوري. الصعود المفاجئ لحزب العمال الكردستاني أثر في دور الأحزاب الكردية الأخرى التي كانت تنشط بين كرد سورية، وبخاصة أن العمال الكردستاني استفاد من قربه من النظام السوري، ما سهل حركته ونشاطه داخل المجتمع الكردي، في الوقت الذي لم تحظ الأحزاب الكردية الأخرى بهذه الأفضلية.

³د.علي صالح ميراني، الحزب الديمقراطي الكردي في سورية (البارتي).. من التأسيس الى الثورة.

⁴ المصدر السابق.

⁵علي شمدين، الحركة الكردية في سورية وظاهرة الانشقاقات (1916-2016)، مصدر سابق.

⁶المصدر السابق.

⁷د.م. الحزب الأول "نهضة سياسية" انتهت بالتفكك الحركة الحزبية الكردية في سورية، عب بلدي، 23 نيسان/ أبريل 2017. <https://goo.gl/cD5o7F>

⁸هوشنك أوسي، "الكردستاني" ونظام الأسد: حكاية خصام ووفاء على وقع أحلام المؤسس"، الحياة، 6 نيسان/ أبريل 2015. <https://bit.ly/2S84BEc>

لكن الاتفاقية التي حصلت بين النظام السوري وتركيا باسم "اتفاقية أضنة" كانت نقطة بداية النهاية لمرحلة التعاون بين العمال الكردستاني والنظام السوري.⁹

2- حرب العراق و"ميلاد فكرة الفدرالية"

قد تبدو فكرة الفدرالية والنظام الاتحادي دخيلة على الساحة السياسية السورية، بالنسبة إلى بعضهم، وهذا ما يخلق توجسات لدى شريحة واسعة من المعارضة السورية وكذلك النظام السوري، لكن بالعودة إلى حقبة الانتداب الفرنسي لسورية، تشير مصادر إلى وجود مطالبات بمناطق حكم ذاتي للمكونات السورية. ففي أيلول/ سبتمبر 1938 عقد مؤتمر الجزيرة العام برئاسة حاجو آغا، أحد قيادي منظمة خويبون الذي ناشد فرنسا إعطائه حكمًا ذاتيًا تامًا، وقد وعده المندوب السامي الفرنسي بنظام خاص للجزيرة، وبالفعل في السنة التالية 1939 فصلت الجزيرة بأغلبيتها الكردية مثل: جبل الدروز في جنوب سورية، واللاذقية بعلويهما في المناطق النائية) عن أراضي سورية ذات الأغلبية العربية السنية، ووضعت تحت السيطرة الفرنسية المباشرة.¹⁰

مع مرحلة الاستقلال، أُلغيت الكيانات التي أسست في حقبة الانتداب، لكن عادت فكرة الفدرالية تراود الحركة السياسية الكردية في العقد الأول من الألفية الجارية، وبخاصة بعد الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003، وتطور الحكم الذاتي للكرد في العراق إلى فدرالية، بحسب الدستور العراقي الذي أُقرَّ إبان سقوط نظام البعث، الأمر الذي حرك فكرة تشكيل كيان فدرالي لكرد سورية على غرار كرد العراق.¹¹ وبالفعل فقد طالبت أحزاب كردية سورية بالفدرالية في أواسط العقد الأول من الألفية الجديدة وعام 2006 بالتحديد.¹²

وتبلورت الفكرة بوضوح أكثر بعد الثورة السورية، بحيث أصبحنا اليوم أمام مشروعين كرديين في سورية، الأول يحمله المجلس الوطني الكردي والثاني تحمله حركة المجتمع الديمقراطي، وكلاهما يجد في اللامركزية السياسية حلاً للقضية الكردية في سورية خصوصًا، والأزمة السورية عمومًا.

3- تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي

بعد اختطاف زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان واعتقاله على يد الاستخبارات التركية، اتجه الحزب نحو إعلان هدنة طويلة الأمد، ليُقدم بعد ذلك على تشكيل أربعة أحزاب كردية تابعة للعمال الكردستاني. وتنفيذًا لأوامر أوجلان، أسس حزب الحل الديمقراطي الكردستاني، فرع العمال الكردستاني في العراق عام 2002، وسنة 2004 أسس حزب الحياة الحرة الكردستاني (PJAK) فرع العمال الكردستاني

⁹دم، "اتفاق أضنة التركي السوري، بروتوكول أممي حمّال أوجه"، الجزيرة نت، 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2011. <https://goo.gl/fmXsQa>

¹⁰د. فريست علي، "أكراد سورية وصراع المحافظة على الهوية"، مجلة البيان، 13 نيسان/ أبريل 2014. <https://bit.ly/2CZTvt2>

¹¹ المصدر السابق.

¹²خورشيد دلي، "سورية وحديث الفدرالية"، الجزيرة نت، 15 آذار/ مارس 2016.

<https://goo.gl/vKREcf>

في إيران، وسنة 2003 أسس حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، فرع الكردستاني في سورية. والمؤتمرات التأسيسية لهذه الأحزاب الثلاثة كلها جرت في معازل العمال الكردستاني في جبال قنديل.¹³ ومن 2003 ولغاية 2011، قبل اندلاع الثورة السورية، تعرّض حزب (PYD) لحملة قمع وملاحقة أمنية سورية استهدفت عناصره وقياداته، أسفرت عن اعتقال نحو 1400 شخص، وفق تسريبات الصحافة التركية، بوصف ذلك ثمرة التنسيق الأمني السوري - التركي وقتذاك. واعتقلت عائشة أفندي، زوجة رئيس الحزب صالح مسلم الذي هرب إلى معسكر تابع للحزب، تحت سيطرة الكردستاني، موجود في كردستان العراق. ولقي عدد من عناصر (PYD) مصرعهم تحت التعذيب الوحشي في السجون السورية. ومن 2002 ولغاية 2011، كان الموجة الرابعة من الاعتقالات التي طالت الناشطين الكرد والقيادات الكردية في سورية، وشملت آفاقاً، كان أغلبهم من الموالين للعمال الكردستاني وفرعه السوري الاتحاد الديمقراطي.¹⁴

4- سيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي على المنطقة بعد الثورة

لم يكن حزب الاتحاد الديمقراطي بحمولته الأيديولوجية بالغريب عن الساحة السياسية الكردية في سورية، فهو حامل لإرث حزب العمال الكردستاني الذي صال وجال في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، وبدعم من النظام السوري في الساحة الكردية السورية، بل كانت له سطوته، قبل أن ينقلب حافظ الأسد -بعد اتفاقية أضنة الأمنية مع تركيا- على زعيمه عبد الله أوجلان ويبدأ بملاحقة كودار الحزب ومنع نشاطه. لكن العودة الجديدة القوية للاتحاد الديمقراطي أعادت إلى الأذهان ما كان عليه العمال الكردستاني في عهد الأسد الأب، فبدأ الاتحاد الديمقراطي بتحركات سريعة بترتيب صفوفه وفرض نفسه طرفاً قوياً في المنطقة بسيطرته عبر مراحل على مقاليد السلطة في المنطقة بعد انسحاب النظام منها مع بداية عام 2012، وشكل قوة عسكرية عرفت باسم "وحدات حماية الشعب" وهذا ما قلب موازين القوى في المشهد السياسي الكردي السوري، بحيث أصبح اليوم الاتحاد الديمقراطي وتفرعاته صاحب السلطة المطلقة في المنطقة أمام ضمور قوة التيارات السياسية الكردية الأخرى.

5- تأسيس المجلس الوطني الكردي

بعد مرور أشهر عدة على الثورة السورية، بدأت مجموعة من الأحزاب الكردية ومن بينها حزب الاتحاد الديمقراطي العمل على عقد مؤتمر كردي للأحزاب والتيارات السياسية الكردية بهدف تشكيل جسم سياسي كردي موحد لتكون ممثلة للكرد في العملية السياسية السورية، لكن حزب الاتحاد الديمقراطي ونتيجة خلافات مع باقي الأحزاب في ما يخص نسبة التمثيل في المؤتمر انسحب من اللجنة التحضيرية وقاطع

¹³ هوشنك أوسي، "الحياة المدنية والسياسية الكردية في سورية 1898-2017 (2)", المركز الكردي السويدي للدراسات، 18 كانون الثاني/يناير 2018.

<https://goo.gl/khnMVV>

¹⁴ المصدر السابق

المؤتمر، لأنه في حينها طلب تمثيل تيارات تابعة له كمؤسسة عائلات الشهداء واتحاد ستار النسائي بوصفها كيانات مستقلة، الأمر الذي رفضته باقي الأحزاب.¹⁵

وفي 26 تشرين الأول/ أكتوبر 2011 عقدت مجموعة من الأحزاب الكردية وشخصيات سياسية واجتماعية وحركات شبابية، من دون مشاركة الاتحاد الديمقراطي، مؤتمرًا أسموه بالمؤتمر الوطني الكردي في سورية، أي بعد سبعة أشهر من انطلاق الثورة السورية.¹⁶

ومن أهم مخرجات المؤتمر الوطني الكردي الأول: المطالبة بالإقرار الدستوري بوجود الكرد مكونًا رئيسًا من مكونات الشعب السوري وثاني أكبر قومية فيه، لكن النقطة الثانية التي طرحها المؤتمر وهي إيجاد حل ديمقراطي عادل لقضيته القومية بما يضمن حقه في تقرير مصيره بنفسه ضمن وحدة البلاد، كانت فضفاضة وتحتل التأويل فحق تقرير المصير يصل إلى حد الاستقلال عن البلاد بحسب قرار الأمم المتحدة رقم 1514 عام 1960 يقضي بأنه «لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها، ولها بمقتضى هذا الحق أن تحدد بحرية مركزها السياسي وتسعى بحرية لتحقيق إنمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي»، وهنا استدرك المؤتمر مطلبه بأن حدد حق تقرير المصير ضمن وحدة البلاد.¹⁷

ثانيًا: المنهجية السياسية والفدرالية بوصفها هدفًا استراتيجيًا

1- مفهوم الفدرالية

تُعرف الفدرالية بصورتها العلمية بأنها نمط من أنماط التنظيم السياسي والإداري المؤسسي للدولة القومية، يتحد بموجبه عدد من الوحدات السياسية المستقلة (دول، ولايات، مقاطعات.. إلخ) تحت علم دولة فدرالية واحدة، على أن تتمتع الوحدات السياسية باستقلال إداري وأمني وقانون واسع في تدبير شؤونها ومبهاكل مؤسساتية مستقلة تمامًا عن الحكومة الفدرالية، مع أن العلاقة بين الطرفين تسير وفقًا لمبدأ تقاسم السلطة والسيادة.¹⁸ ويُطلق على هذا النظام اسم "النظام الاتحادي" الذي يتضمن تقسيم السلطات بين الدولة والمركزية والدويلات بوساطة الدستور الفدرالي.¹⁹

ومن جانبه، يُقدم الباحث العراقي، علي عبود بحر العلوم، شكلين للفدرالية: فدرالية جغرافية: تقوم على أساس اعتماد تحديد جغرافي تاريخي، بدل اعتماد العوامل القومية أو الدينية أو الطائفية. وبذلك تشكّل المحافظات تقسيمًا إداريًا جغرافيًا يتحد ضمن دولة مركزية وحدة.

فدرالية قومية: تعتمد أساس القومية في تقسيم الأقاليم.²⁰

¹⁵ بهاز بكاري، "المشروعان الكرديان في سورية: التوافق والاختلاف ومواقف المعارضة والنظام منهما"، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 24 أيار/ مايو 2018.

<https://bit.ly/2D92lg3>

¹⁶ المصدر السابق.

¹⁷ المصدر السابق.

¹⁸ النظام الفدرالي، الجزيرة نت، 15 شباط/ فبراير 2017.

<https://goo.gl/VZjZ9D>

¹⁹ علي الشمري، "واقع الفدرالية ونظم الاتحاد الفيدرالي"، مجلة البناء، عدد (59)، بغداد، تموز/ يوليو 2001. <https://annabaa.org/nba59/fidralia.htm>

²⁰ علي عبود بحر العلوم، "الفدرالية الجغرافية وأفاقها المستقبلية في العراق"، معهد العملين للدراسات العليا، 12 تموز/ يوليو 2014. <https://goo.gl/DKFN8Q>

2- فدرالية حزب الاتحاد الديمقراطي

بات حزب الاتحاد الديمقراطي "ب ي د" من أبرز القوى السياسية والعسكرية الفاعلة في سورية، وبالأخص التحالف العسكري مع الولايات المتحدة التي تقود التحالف الدولي لمحاربة "داعش"، في مطلع عام 2014. ومع تردد اسمه ترددًا ملحوظًا على وسائل الإعلام والعلاقات الدبلوماسية بين الدول الفاعلة في سورية، وسيطرته على مساحات واسعة من الأراضي السورية، بات التعرف إليه وإلى هدفه الاستراتيجي -بوصفه كيانًا كرديًا سوريًا سياسيًا وعسكريًا فاعلاً- أمرًا مُلزمًا.

أعلن الحزب في بدايات ظهوره عن تبنيه "النضال الديمقراطي السلمي" من أجل الحصول على حقوق المواطنين الأكراد في سورية. ولم تكن فكرة الحكم الذاتي بعيدة من حزب "الاتحاد الديمقراطي" قبل الثورة السورية، إذ دعا في البيان الختامي للمؤتمر الثاني الطارئ للحزب عام 2005 إلى حث الدولة على سلوك التغيير والانتقال إلى النظام الكونفدرالي الديمقراطي.²¹

مع اندلاع الثورة السورية في آذار/ مارس 2011، دخل الحزب مرحلة جديدة في تاريخه، أسفرت عن سيطرته السياسية والعسكرية الواسعة في مناطق شمال سورية وشمال شرقها، لا سيما بعد عام 2014، حينما بدأ يتلقى دعمًا عسكريًا وفيرًا من التحالف الدولي بزعامة الولايات المتحدة التي رأت فيه "وكيلًا" جيدًا لمحاربة "داعش" ميدانيًا.

وجد الحزب في انطلاق الثورة السورية فرصة لتنفيذ أهدافه السابقة، وبدأ مسيرته بإعلان مجلس "غرب كردستان" نهاية عام 2011، مشكلًا بذلك جسدًا سياسيًا، بات الأكثر تأثيرًا والأكثر سيطرةً في المناطق ذات الكثافة الكردية في سورية.²²

ومن ثم انضم "مجلس غرب كردستان" إلى "حركة المجتمع الديمقراطي" التي تعدّ بمنزلة السلطة التنفيذية لمجموعة منظمات سياسية ومدنية واجتماعية وتشريعية تختص في إدارة المناطق الخاضعة لسيطرة الوحدات،²³ ودخل في تفاوض مع المجلس الوطني الكردي، وجرى بالفعل الاتفاق على تشكيل "الهيئة الكردية العليا" في تموز/ يوليو 2012، لكن الخلافات بين الطرفين، أدت إلى إعلان الحزب الإدارة الذاتية من طرف واحد في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2012.²⁴

وفي صيف عام 2013، أعلن مجلس غرب كردستان "مسودة دستور الحكومة المؤقتة لغرب كردستان، بينما جاء الإعلان الأول عن "الإدارة الذاتية المدنية" في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ذاته.

²¹المصدر السابق.

²²المصدر السابق.

²³ابراهيم ابراهيم، "ما هي الحركة الكردية في سورية"، إيلاف، 30 أيار/ مايو 2013.

<https://goo.gl/HD3656>

²⁴المصدر السابق.

وذلك باسم "الإدارة المدنية الانتقالية لمناطق غرب كردستان"، أما الإعلان الرسمي عن الإدارة الذاتية فلم يصدر حتى بداية عام 2014.²⁵

حاول الحزب اللعب على وتر تناقضات "توازن القوى" بين الدول الفاعلة، فمن جهة اتفق مع النظام السوري نهاية عام 2013، على إعلان الإدارة الذاتية في المناطق التي يُسيطر عليها، ومن جهةٍ أخرى قبل بالدعم الأميركي في سبيل توسيع نطاق سيطرتها، والعمل على تثبيتها مستقبلاً من خلال الدعم الأميركي. ولعل بقاء بعض العناصر التابعة لقوات النظام السوري في مناطق سيطرة وحدات الحماية وخوض الطرفين معارك مشتركة ضد تنظيم داعش كما حصل في الحسكة،²⁶ تُشكّل دلائل واضحة على رعاية الحزب لعلاقته مع النظام.

وربما في سبيل رفع الحرج عن تعاون دول التحالف التي تُصنف حزب العمال الكردستاني "منظمة إرهابية"، ومن أجل كسب أكبر عدد ممكن من فصائل المعارضة السورية التي تقبل بالتوجه الأميركي بمحاربة "داعش" بعيداً عن إسقاط النظام السوري عسكرياً، جرى الإعلان في 12 تشرين الأول/أكتوبر 2015 تأسيس قوات سوريا الديمقراطية "قسد" التي ضمت قواتٍ كرديةً وعربيةً وسريانيةً، وغيرها.²⁷ ولعل ملامسة الهدف الأميركي في تحقيق النقطتين المذكورتين أعلاه، من خلال لغةٍ إنشائيةٍ خطابيةٍ أشارت إلى "سورية" و"الديمقراطية" في اسم القوات لتدل -على الأرجح- على انعدام التواجهات الأيديولوجية القومية والفكرية، وعمومية الهدف من وراء تحركات "قسد"، ألا وهو هدف تحقيق الديمقراطية المجتمعية والدولية السياسية. وشكّل "الاتحاد الديمقراطي"، بقيادته وعدد عناصره، العمود الأساسي لهذه القوات التي أُعلن تأسيسها في محافظ الحسكة الواقعة تحت سيطرته.

واللافت أن الحزب لم يضع، في برامجه الخامس والسادس لعامي 2012 و2015، هدف ربط الوحدات الجغرافية الكردية "الجزيرة. كوباني. عفرين"، نصب عينيه،²⁸ لكن بعد تلقيه دعمًا الولايات المتحدة عام 2014، جنح إلى تحقيق هذه النقطة، ما يوحى إلى اتباعه سياسة براغماتية قائمة على "صيد الفرص" أكثر منه الالتزام ببرنامج سياسي قائم على تحقيق أهداف واضحة ومرتبطة بمناطق الكثافة الكردية فقط. وما يزيد من إثبات براغماتيته ابتعاده، في برامجه المتتالية، عن ذكر الظلم الإيراني للکرد، إذ لم يذكره إلا مرة واحدة في برامجه، ومن دون ذكر اسم إيران، بل باسم "الانتهاكات الفارسية".²⁹

وفي برامجه السادس لعام 2015، حاول إكساب الروح الجغرافية السورية الكردية لذاته، مبتعداً عن ربط ذاته بحزب العمال الكردستاني، داعياً الحركات الكردية جميعها إلى الاندماج في إطار مجلس سوريا الديمقراطي. ولُوْحظ في هذا البرنامج ابتعاده عن الحديث عن علاقته بعبد الله أوجلان، ولم يرد أي ذكر لحزب العمال الكردستاني. وعلى الأرجح، فإن السبب الأساسي لذلك هو محاولة تخفيف حدة الضغط

²⁵المصدر السابق.

²⁶"النظام السوري والأكراد في الحسكة: تنسيق غير معلن في مواجهة «داعش»"، الشرق الأوسط، 20 تموز/ يوليو 2015. <https://goo.gl/6mqDvr>

²⁷"نبذة عن قوات سوريا الديمقراطية"، بي بي سي، 8 حزيران/ يونيو 2017

<https://goo.gl/CSfj>

²⁸"سورية في برنامج حزب الاتحاد الديمقراطي"، مركز جوسور للدراسات، 25 كانون الثاني/ يناير 2018. مصدر سبق ذكره <https://goo.gl/j3ZDrej>

²⁹المصدر السابق.

التركي والدولي عليه بوصفه فصيلاً تابعاً لحزب العمال الكردستاني، ومحاولة تقديم ذاته بوصفه جناحاً سورياً يُمثل الأكراد السوريين أمام النظام السوري والدول الراعية له روسيا وإيران.³⁰

وفي مؤتمره السابع الذي عُقد في نهاية أيلول/ سبتمبر 2017، تبني الحزب، لأول مرة علناً المشروع الفدرالي نموذج حل للمسألة السورية عمومًا.³¹ ويبدو أن هذا النموذج جاء نتيجةً طبيعيًا للتبعية للولايات المتحدة التي تسعى لترسيخ نفوذها في شمال شرق سورية عبر نموذج يكفل لها ذلك على صعيد استراتيجي. وما يزال الحزب يُسيطر اليوم على مساحاتٍ واسعةٍ من الأراضي السورية، حيث تُظهر التقديرات الجغرافية سيطرته على ما نسبته 23 في المئة من مساحة سورية البالغة 185 ألف كيلو متر مربع.³² وتشمل مناطق الإدارة الذاتية ريفي القامشلي والحسكة وبعض قرى ريف الرقة وريف دير الزور، إضافةً إلى أجزاء من مدينتي القامشلي والحسكة اللتين يتمركز النظام في أجزاءٍ منهما، إضافةً إلى كوباني وريفها، وعفرين قبل أن تسيطر عليها فصائل المعارضة السورية المدعومة تركياً.

يذكر أنه هناك 22 هيئةً تشمل قطاعاتٍ مختلفة، إضافةً إلى "قوات سوريا الديمقراطية" التي تُشكل "وحدات حماية الشعب الكردية" عموده الأساس، و"قوات الأمن الداخلي" (أسايش)، وقوات حماية المرأة، للإدارة الذاتية.

لقد طرحت حركة المجتمع الديمقراطية فكرة الفدرالية بوصفها مشروعاً لحكم المناطق الخاضعة لسيطرتها، وحلاً لتأسيس نظام حكم سورية، في 18 حزيران/ يونيو 2016، بصيغة مسودة أُطلق عليها "مسودة العقد الاجتماعي للفدرالية الديمقراطية لروج آفا. شمال سورية".³³

وفي طيات المسودة، أشارت الحركة إلى أنها تتبنى نظام الفدرالية الجغرافية الإدارية، مبينةً أنها تُرجح تطبيق هذه الفكرة في مناطق سيطرة الإدارة الذاتية، مع إمكانية تطبيقها في أنحاء سورية كلها.³⁴ وعلى الرغم من تأكيد أن مشروعها سوري بحت، تواجه حركة المجتمع الديمقراطي تهمة السعي للانفصال من جهة، وتهمة رفض الفكر القومي الكردي والسعي للتمدد الجغرافي من جهةٍ أخرى.

وردًا على الاتهام الأول الذي توجهه المعارضة السورية -على وجه التحديد- إلى الحركة، يُشير القيادي في حركة المجتمع الديمقراطي أدار خليل، إلى أن مشروع الفدرالية المطروح من الحركة، يأتي في إطار أن تصبح سورية دولة أكثر ديمقراطية، وفي سبيل حل القضايا العالقة كلها التي يأتي على رأسها معضلة تعايش المكونات المختلفة الرابضة في مناطق شمال سورية في ما بينها.³⁵

أما الاتهام الثاني الذي يوجهه المجلس الوطني الكردي، على وجه التحديد، إلى الحركة التي أعلنت في بيانها الصادر في 19 آذار/ مارس 2016، تأسيس "الاتحاد الفدرالي الديمقراطي لروج آفا. شمال سورية" من دون إشراكه كلمة "الكردي" أو تحديد حدوده بمنطقة إقامة الأكراد، فيرد عليه خليل بالقول: "نرفض

³⁰المصدر السابق.

³¹المصدر السابق.

³²نصف سوريا لقوات النظام وربيعها لـ«قصد»... وفصائل معارضة تسيطر على 16%، الشرق الأوسط، 17 أيلول/ سبتمبر 2017. <https://goo.gl/pfWpHo>

³³مسودة العقد الاجتماعي للفدرالية الديمقراطية لروج آفا - شمال سوريا، موقع الهيئة التنفيذية للإدارة الذاتية، 29 حزيران/ يونيو 2016. <https://goo.gl/mCxLcs>

³⁴المصدر السابق.

³⁵موقف المجلس الوطني الكردي من اعلان الفيدرالية من قبل PYD، يكيبي ميديا، 19 آذار/ مارس 2016. <https://goo.gl/iPx3mR>

المفهوم القومي أساسًا للحل، لكن في المقابل نناضل من أجل حقوق الشعب الكردي على وجه الخصوص، ولكن بالتشارك مع باقي المكونات.³⁶

وهنا بإسقاط تقسيمة "بحر العلوم" على مشروع حركة المجتمع الديمقراطي، يتبين أنها تتبنى بوضوح مفهوم الفدرالية الجغرافية.

3- فدرالية المجلس الوطني الكردي

أعلن تأسيس المجلس الوطني الكردي في السادس والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر عام 2011، في قامشلي بصفته واحدًا من مخرجات المؤتمر الوطني الكردي في سورية.³⁷ وتُعد أربيل الداعم الأول للحزب. وعلى النقيض من حزب الاتحاد الديمقراطي، لم يستطع المجلس الوطني الكردي أن يحقق سيطرة ملموسة على الأرض الواقع وبخاصة على الصعيد العسكري، فالقوة العسكرية التي تبناها المجلس الوطني الكردي تسمى بـ"بشمركة روج آفا". وهي قوة عسكرية مؤلفة من مجموعة من العسكريين والجنود من الكرد السوريين الذين انشقوا عن جيش النظام وجرى تجميعهم في كردستان العراق وتدريبهم، لكن عدم دخولهم إلى المنطقة الكردية في سورية، حد من تأثيرهم في التوازن العسكري في المنطقة. وهذا ما أفقد المجلس الوطني الكردي أي تأثير في الخريطة العسكرية في المنطقة، إضافة إلى حالة التخبط والانسحابات التي حصلت في المجلس ما أدى إلى ضمور تأثيره على الصعيد السياسي، على الرغم من أن القوة الكردية الأبرز ضمن صفوف المعارضة السورية. هذا إضافة إلى الخصومة مع حزب الاتحاد الديمقراطي صاحب السلطة الفعلية في الجغرافية الكردية السورية، واستخدامه سلطته لمواجهة المجلس الوطني، بإغلاقه مكاتبه ومكاتب الأحزاب التابعة له، ومنعه من مزاولة نشاطه السياسي في المنطقة، وهذا ما يؤكده المجلس في بياناته المنشورة، وتصريحات قياداته للإعلام، ولعل أبرز الدلالات على استخدام الاتحاد الديمقراطي لسلطته في مواجهة المجلس الكردي، كان منع انعقاد المؤتمر الرابع للمجلس في قامشلي³⁸.

حاول المجلس الكردي في مؤتمر الرابع، إعادة إحياء الذات، وذلك بإجراء تغييرات داخلية في هيكلية المجلس، فقد انتُخب "سعود الملا" ذي المرونة السياسية، رئيسًا للمجلس في كانون الأول/ديسمبر 2017 بديلًا لإبراهيم برو، ومن ثم أخذ المجلس بعض الإجراءات لتسريع عملية اتخاذ القرار، ومن ثم زيادة تأثيره في المناطق الكردية، متجهًا صوب إنشاء هيئة جديدة بمسمى هيئة الرئاسة في المجلس، إذ كانت عملية اتخاذ القرار في السابق معقدة، وتتطلب اجتماعًا للأمانة العامة. وهذا ما كان يضع اتخاذ أي قرار رهنتًا للتحالفات داخل المجلس، ومن ثم يُعوق اتخاذ كثير من القرارات. ولا ريب في أن سرعة عملية اتخاذ القرار ترفع من مستوى الإرادة السياسية لأي فاعل سياسي. لكن لم يستطع المجلس حتى الآن أن يحقق كثيرًا مما كان يصبو إليه في عقب التغييرات التي أجراها.

³⁶المصدر السابق.

³⁷البيان الختامي لأعمال المؤتمر الوطني الكردي في سوريا، ولائحه، 28 تشرين الأول/أكتوبر 2011. <https://goo.gl/rYkiUF>

³⁸الاتحاد الديمقراطي يمنع بالقوة انعقاد المؤتمر الرابع للمجلس الوطني الكردي، بيكيتي ميديا، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2017. <https://bit.ly/2DPPsPc>

أما على الصعيد الخارجي فقد واجه المجلس الوطني الكردي، رفض حلفائه في المعارضة السورية لمشروع الفدرالية التي يطرحها، ففي الاتفاقية التي دخل المجلس الكردي عبرها إلى الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، بقي بند اللامركزية السياسية التي طالب المجلس الكردي بها، ضمن هامش الاتفاقية، على أن يسعى المجلس الكردي لإقناع حلفائه في الائتلاف بها، فقد تحفظ على الفقرة الثالثة من نص الاتفاقية إذ تشير إلى أن النظام الذي يدعو إليه الائتلاف هو اللامركزية الإدارية، بينما يجد المجلس في اللامركزية السياسية حلاً أفضل.³⁹

ويمكن سرد أهم نقاط البرنامج السياسي للمجلس الوطني الكردي بالاستناد إلى ما هو مُعلن في برنامج السياسي الموقت الصادر في نيسان/ أبريل 2012، ومن ثم مؤتمراته المتتالية في كانون الثاني/ يناير 2013، حزيران/ يونيو 2015، على النحو الآتي:

- الاعتراف الدستوري بالهوية القومية الكردية وبالشعب الكردي الذي "يعيش على أرضه التاريخية".
 - إلغاء السياسات المُجحفة بحق أكراد سورية، بما في ذلك حظر استخدام اللغة الكردية وإنشاء المدارس الكردية.
 - تحقيق اللامركزية السياسية في الحكم في سياق وحدة الأراضي السورية القائمة على حكم دولة وطنية علمانية ديمقراطية، وبالابتعاد عن التمييز القومي والديني والطائفي.⁴⁰
- وانطلاقاً من تقسيم الباحث "بحر العلوم" لنظام الفدرالية، يُلاحظ أن المجلس الوطني الكردي يطرح الفدرالية القومية، إذ يدعو إلى عدّ المناطق الكردية وحدة قومية. وبذلك يخرج إلى السطح احتمال مواجهة أصوات من قوميات أخرى لهذا التوجه. فالمنطقة ثرية بالتنوع القومي القائم على القومية الكردية والأشورية والعربية والأرمنية. ولكن يُحاكي هذا السيناريو حالة كردستان العراق القائم على أساس كردي، ولكنه يحتضن سريانين، آشوريين، كلدانيين؛ بوصفهم أقليات يجري استيعابها ضمن الأحزاب الكبرى.

ثالثاً: مستقبل المنطقة والمعادلات الإقليمية والدولية

1- موقع المنطقة الجيوسياسي والاقتصادي

تقع منطقة سيطرة القوة الكردية في مثلث حدودي يربط سورية والعراق وتركيا ببعضها. وبذلك توفر لأي قوة دولية ترغب في تحقيق نفوذ أمني وعسكري وسياسي فاعل في المنطقة، فرصة ذهبية لتحقيق تموضع حيوي فيها. إذ يمكن لهذه القوة في الوضع الحالي الحصول على موطن قدم يسير من دون عراقيل

³⁹Kurdish-National-Council، مشروع الاتفاق بين الائتلاف والوطني الكردي، 1 آذار/ مارس 2016 <https://bit.ly/2SotMlf>

⁴⁰من هو المجلس الوطني الكردي، الموقع الرسمي للمجلس الوطني الكردي، مصدر سبق ذكره.

الاتفاقيات الدولية التي تحتاج إليها في حال رمت إلى نشر قواتها في المنطقة عبر الاتفاق مع سلطات الدول المحيطة؛ أي السلطة التركية أو العراقية أو السورية "ممثلةً بسلطة دمشق".

وعلى الأرجح، تحاول الولايات المتحدة الاستفادة من حالة الأمر الواقع، لإقامة قواعد عسكرية سواء داخل عمق هذه المناطق أم بالقرب من حدودها أم على رأس مثلث الحدود بالقرب من كردستان العراق، أو الاكتفاء بنفوذ غير مباشر على المدى الطويل، في سبيل التخلص -على الأرجح- من قيود تركيا التي تفرض أحياناً عليها في حال أرادت استخدام قاعدة "إنجيليك" الواقعة في مدينة أضنة التركية. النفوذ العسكري المباشر في هذه المنطقة، يمنح الجانب الأميركي والغربي عمومًا، نقطة استراتيجية لتعديل النفوذ الإيراني والروسي وموازنته في سورية، وعموم المنطقة.

وتشكل المنطقة حلقة وصل بين كردستان العراق والبحر الأبيض المتوسط. هذه الميزة التي خشيت تركيا من تحولها إلى واقع في حال تمددت القوات الكردية بسيطرتها غرب الفرات، وحركتها للمطالبة بإقامة منطقة آمنة في الشمال السوري، بغية إعاقة استغلال هذه الميزة التي توفر منفذًا بحريًا لكل من كردستان العراق والإدارة الذاتية على حدٍ سواء. ويبدو أن إصرار تركيا على "الانتشار التشاركي" الذي يضمن وجودها المباشر على المدى القصير، وغير المباشر على المدى الطويل في إدلب، يُرد إلى تخوفها من هذه الميزة. ففي حال حدث ذلك الأمر، يعني إفلات إقليم كردستان من يد تركيا التي يحتاج إليها بوصفها رئة اقتصادية لصادراته ووارداته. ويكاد التخوف الغربي من توغل شركات النفط الروسي في كردستان العراق وحوض شرق البحر المتوسط، يحول دون تحول هذه الميزة لواقع.

وتمتاز جغرافيا المنطقة التي يُطلق عليها "الجزيرة" بالخصوبة ومناخها بالاعتدال، ما يجعلها غنية بالنشاط الزراعي. وقد ارتفعت معدلات المشروعات الزراعية بعد عام 1980، نتيجة استخدام الآلات الزراعية الحديثة، وتطوير البنية التحتية. وكانت تعدّ هذه المنطقة السلة الغذائية الأساسية لسورية قبل عام 2011.⁴¹

وفي ما يشكل الاقتصاد الزراعي في منطقة الجزيرة ما يقارب 75 في المئة، يأتي القمح على رأس هذا الاقتصاد، إذ قدر إنتاجه في الأعوام الماضية ما بين 550 و600 ألف طن سنويًا. تحتل زراعة القمح في المنطقة ما يناهز 65 في المئة من مجموع المساحات المزروعة التي تحوي الشعير والبنار والبقوليات والقطن أيضًا. وتحتل الثروة الحيوانية ما نسبته 15 في المئة من معدل النشاط الاقتصادي للمنطقة. وتصدر المنطقة منتجاتها إلى العمق السوري، وكردستان العراق، عبر معبر سيمالكا، ومدينة جرابلس ومنها إلى تركيا.⁴²

غير أن الإدارة الذاتية تمنع تصدير القمح تصديرًا حرًا، حيث تعمل على شراء أكثر من 200 ألف طن، بسعر أقل من سعر شرائه من النظام، في سبيل الوصول إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح،⁴³ إذ أشارت هيئة الاقتصاد في الإدارة الذاتية، إلى أن تراجع حجم إنتاج القمح في الحسكة على وجه التحديد، تواصل

⁴¹ضياء عوده، "اقتصاد الفدرالية في الشمال.. المفاتيح بيد الجيران"، غب بلدي، 22 تشرين الأول/أكتوبر 2017. <https://goo.gl/UNqkuE>

⁴²المصدر السابق.

⁴³المصدر السابق.

قاطعًا رقمًا قياسيًّا خلال عام 2015، إذ انخفض من 1.8 مليون طن سنويًّا، إلى أقل من نصف مليون.⁴⁴ ويعود هذا التراجع بشكلٍ أساسي، إلى عزوف الفلاح عن مواصلة العمل في المجال الزراعي، إذ لا تضره الضرائب الباهظة التي تفرضها الإدارة الذاتية فقط، بل يضره أيضًا منع النظام تصرفه بالمحصول، وبخاصة القمح والشعير، إلا بتسليمها له في فروع مؤسسة الحبوب بسعرٍ لا يواتي ما يرنو إليه الفلاح.⁴⁵ ووفقًا لتقرير منظمة الأغذية والزراعة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة بعنوان "الري في إقليم الشرق الأوسط بالأرقام" لعام 2010، فإن المنطقة الشرقية التي تسيطر الإدارة الذاتية على مساحات واسعة منها، هي المنطقة الأوسع في البلاد، تُغطي ما نسبته 64 في المئة من مجموع حاجة البلاد إلى القمح المروي، وتوفر 38 في المئة من مجموع القمح البعلي، إضافة إلى 63 في المئة من مجموع إنتاج القطن، و29 في المئة من مجموع إنتاج العدس.⁴⁶ ويرتكز ارتفاع مستوى الإنتاجية الزراعية في المنطقة على وفرة مياه الري التي زادت من خلال بناء شبكات كثيرة للري في هذه المنطقة، لا سيما بالقرب من نهري الفرات والخابور، وبالاعتماد على الآبار الجوفية وفيرة المياه نتيجة غزارة هطول الأمطار ووفرة المصادر الطبيعية والسدود.⁴⁷ يُذكر أن الميزانية المالية "للإدارة الذاتية" عام 2016، بلغت مليارين و700 مليون ليرة سورية، اعتمدت بالأساس على مصادر عدة، أهمها الغاز والنفط والموارد الزراعية، إضافة إلى البضائع المُصدرة لإقليم كردستان العراق على وجه التحديد.⁴⁸

وتضم منطقة الجزيرة حقولًا نفطيةً وغازيةً كثيرةً أهمها؛ حقل الرميلان الذي سيطرت وحدات حماية الشعب على مصفاته في منتصف 2012، إضافة إلى الجبسة والسويدية وكراتشوك وحمزة وعليان ومعشوق وليلاك، مع الحقول التي سيطرت عليها في ريف دير الزور الشرقي مؤخرًا، مثل معمل غاز كونكو وحقل الجفرة والعمر. الأكبر في سورية. والتتنك.⁴⁹

يبلغ إجمالي الآبار النفطية التابعة لحقل رميلان 1322 بئرًا، أما حقل السويدية فيضم 25 بئرًا للغاز المُسال. وتصدر منطقة الجزيرة، تحت سلطة الإدارة الذاتية، ما حجمه 60 إلى 70 ألف برميل يوميًّا، من حقول الرميلان، عبر كردستان العراق، ومنه إلى الخارج.⁵⁰

وتُعد محطة تل عدس أكبر المنشآت الإنتاجية في حقول الحسكة لتجميع النفط الخام الذي يُعالج، ومن ثم يُضخ إلى طرطوس. ومعمل الغاز الحر في جبسة يوفر قدرة استيعابية لتنقية 1.7 مليون متر مكعب من الغاز الحر الذي يُضخ باتجاه مصفاة حمص.⁵¹ يُذكر أن الإدارة الذاتية باتت تُسيطر على ما نسبته 70 في المئة من موارد النفط في سورية.⁵²

⁴⁴حزب "الاتحاد الديمقراطي".." سلطة الأمر الواقع"، عتب بلدي، مصدر سبق ذكره. <https://goo.gl/7VbvB6>

⁴⁵المصدر السابق.

⁴⁶الري في إقليم الشرق الأوسط بالأرقام، تقرير منظمة الأغذية والزراعة FAO، 2010. <https://goo.gl/m2swwC>

⁴⁷المصدر السابق.

⁴⁸ضياء عوده، "اقتصاد الفدرالية في الشمال.. المفاتيح بيد الجيران"، عتب بلدي، مصدر سبق ذكره.

⁴⁹تعرف على أبرز الحقول النفطية بسوريا، موسوعة الجزيرة، 24 تشرين الأول/أكتوبر 2017. <https://goo.gl/Y16iaW>

⁵⁰ضياء عوده، "اقتصاد الفدرالية في الشمال.. المفاتيح بيد الجيران"، عتب بلدي، مصدر سابق. <https://goo.gl/UNqkuE>

⁵¹خورشيد عليكا، "الموارد الاقتصادية في كردستان سوريا"، جريدة حزب يكتي الكردي، العدد 192، 21 حزيران/يونيو 2013.

⁵²"سوريا.. ملامح خارطة نفطية جديدة"، الجزيرة نت، 8 آب/أغسطس 2018.

<https://goo.gl/bGA6vB>

تُسيطر الإدارة الذاتية على حقول رميلان منذ عام 2013. وتشهد الحقول منذ ذلك الوقت تراجعاً في إنتاجها، إذ بلغ 800 ألف متر مكعب من النفط الخام، بعدما بلغ حجم إنتاجه 9 ملايين و284 ألف متر مكعب خلال عام 2010.⁵³ وذلك نتيجة حالة عدم الاستقرار التي تشهدها هذه المناطق، إضافة إلى عدم وجود قطع غيار لحفارات النفط المتضررة، عوضاً عن إعاقة النظام السوري الذي اشترط مسبقاً على الإدارة الذاتية التقاسم، لعملية إعادة الإصلاح، مع عدم توريده قانونياً ورسمياً إلى الخارج، إذ تجري عملية توريده عبر التهريب.⁵⁴

وإلى جانب النفط تحوي الجزيرة بعض الثروات الطبيعية المعدنية بنسب متفاوتة، مثل الملح الموجود في الضفة اليسرى لنهر الفرات في منجم الهرموشية، باحتياطي لا يقل عن 8 مليون طن وبعمق 220 م، إضافة إلى الغضار التي تُعدّ مادة أساسية لصناعة الخزف والبورسلان.⁵⁵

ولعل عنصر النفط هو العامل الأساسي لدفع الولايات المتحدة -وغيرها من الدول الكبرى- إلى بسط سيطرتها المباشرة أو غير المباشرة في تلك المنطقة، حيث توفر لها هذه المنطقة خيرات يمكن لها الاستفادة منها مقابل المساعدات التي قدمتها.

وتتنوع الموارد المائية في مناطق الإدارة الذاتية، وتنقسم إلى:

أنهار: الفرات. دجلة. جفجغ.

الينابيع: حوض دجلة والخابور.

السدود: سد الحسكة، باسل الأسد، السفان، المنصورة، تشرين، باب الحديد، قناة الجر، الجرجب،

الزركان، الجفجغ، الجراحي، معشوق، وغيره.⁵⁶

وعلى الرغم من التنوع النسبي للموارد الاقتصادية في منطقة سيطرة الإدارة الذاتية، إلا أن المنطقة

تعاني حالة فقر مشهودة، ربما لعوامل عدة:

- انعدام الاستقرار السياسي.
- عزوف المستثمرين عن الاستثمار المباشر في الإقليم، نظراً إلى انعدام حالة الاستقرار السياسي. وفي حال حدثت التسوية، فإن الإقليم لا يستطيع استقبال سوى المستثمرين في المجال الزراعي أو العقاري، إذ إن العاصمة الصناعية لسورية هي حلب التي يبدو أن التوجه الدولي، لا سيما التركي، متجهٌ نحو إعادة إحيائه.

• انعدام حالة تكامل الدورة الاقتصادية الذاتية التي تجعل واردات الإقليم أكثر من صادراته، فضلاً

عن حالة الاعتماد الكامل على النظام السوري في عملية تكرير النفط الذي ينبع من مصادر سيطرة الإدارة

الذاتية ويصب في مصفاة حمص التي تخضع للنظام.⁵⁷

⁵³ضياء عوده، "اقتصاد الفيدرالية في الشمال.. المفاتيح بيد الجبران"، عنب بلدي، مصدر سابق.

⁵⁴المصدر السابق.

⁵⁵خورشيد عليكا، "الموارد الاقتصادية في كردستان سوريا"، جريدة حزب يكتي الكردي، مصدر سابق.

⁵⁶خورشيد عليكا، "الموارد الاقتصادية في كردستان سوريا"، جريدة حزب يكتي الكردي، مصدر سابق.

⁵⁷سوريا.. ملامح خارطة نفطية جديدة"، الجزيرة نت، 8 آب/ أغسطس 2018.

<https://goo.gl/bGA6vB>

● اضطراب سلطات الإدارة الذاتية إلى فرض ضرائب متنوعة وباهظة نسبيًا على الفلاحين والحرفيين والتجار، الأمر الذي يحمل في طياته احتمال عزوف عدد كبير منهم عن العمل في مناطق سيطرة النظام. إذ تفرض السلطات ما قيمته 25 ألف ليرة سورية على الفلاحين سنويًا، فضلًا عن دفع أتاواتها التي لا تقل عن 5 آلاف ليرة سورية للحواجز العسكرية التي تحولت إلى ما يشبه المعابر الحدودية.⁵⁸ وأصدرت السلطات المذكورة، تشرين الثاني/ نوفمبر 2017، قانون "الحاكمية التشاركية" الذي يفرض ضريبة دخل، لم تحدد قيمتها بعد.⁵⁹

إلى جانب ذلك، تجمع سلطات الإدارة الذاتية شهريًا 3 آلاف ليرة سورية من السائقين ضريبة نقل عام وعبور، وألف ليرة تعويضًا لأضرار الوقود على البيئة،⁶⁰ فضلًا عن رسوم العبور التي تُدخل على الإدارة الذاتية من كاهل المواطنين ما بين 8 إلى 9 مليون دولار سنويًا.⁶¹ وفي حين وضع التوجه الشعبي الكبير، يشمل 75 في المئة من المواطنين، في هذه المناطق نحو العمل في القطاع الزراعي، بعيدًا من الفاعلية في القطاع الصناعي الإنتاجي، تُصبح تبعية هذه المناطق الصارخة لمناطق سيطرة النظام والمناطق الأخرى المحيطة بها، أمرًا متوقعًا بكل سهولة، سواء في الوقت الحالي أم في المستقبل.⁶² وما يزيد من حجم الآثار السلبية للضرائب على المواطن المقيم في هذه المناطق، هو أن ما نسبته 80 في المئة من المواطنين يعاني الفقر.⁶³ وبأخذ الموارد الاقتصادية، والأرقام الإحصائية الخاصة بها يُلاحظ أن القمح والنفط، ربما يدفعان دولة أو دولًا ما - في الأغلب قد تكون الولايات المتحدة وفرنسا - إلى أداء دور جيواقتصادي "جزئي نسبي" في هذه المنطقة للاستفادة من مواردها التي لا يمكن الانتفاع بها، إلا في حال جرى التوافق مع الدول الجارة التي تملك مفاتيح منطقة سيطرة "قسد" الحبيسة.

2- التوجه الأميركي والدولي حيال الملف الكردي السوري

تُشكل الأزمة السورية إحدى أهم نقاط النزاع في الساحة الدولية، إذ تجمع بتعقيداتها الجيوسياسية عددًا من الدول المتفقة في نقاطٍ ما والمختلفة في نقاطٍ أخرى. ويمكن تحديد أهداف الولايات المتحدة، بما هو ظاهر، على النحو الآتي:

اقتناص حصة من النفط السوري

في إطار التسارع الذي تشهده عملية "تقاسم" النفوذ في سورية، تسعى كل دولة للحصول على الحصة الفضلى لها. فبينما تبذل روسيا جهدًا حثيثًا لتُبقي على نفوذها المنفرد في سورية منذ خمسينيات القرن

⁵⁸ضرار خطاب، "أتاوات في مناطق "PYD" تحت اسم "ضرائب"، من قوت المواطنين إلى خزائن الحزب"، مركز راصد الشمال السوري، 25 تموز/ يوليو 2017. <https://goo.gl/abDn2i>

⁵⁹المصدر السابق.

⁶⁰المصدر السابق.

⁶¹عبد الرحيم سعيد، "معبّر "سيمالكا" في الحسكة تتحكم فيه خلافات سياسية والمواطن يدفع الضريبة"، أخبار الآن، مصدر سبق ذكره.

⁶²فريد إدوار، "اقتصاد الإدارة الذاتية بين ازدواجية القوانين والضرائب"، مجلة صور، 20 نيسان/ أبريل 2017. <https://goo.gl/iibJ8m>

⁶³المصدر السابق.

الماضي، لتدعيم مشروعها الاستراتيجي المعروف باسم "أوراسيا" الذي تهدف من خلاله إلى بناء قوة رادعة في الساحة الدولية، والسيطرة على منافذ تجارية مهمة مطلة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط الذي يحتضن ثروات طاقة هائلة. وترمي إيران إلى الإبقاء على نفوذها المؤسسي والأمني والجيواقتصادي في سورية الذي يتمثل في مد "الخط الإسلامي" لنقل الغاز الطبيعي إلى أوروبا مستقبلاً، وبناء "خط دفاع" وقائي خارج حدودها القومية. أما تركيا فتريد حماية حدودها من خطر تأسيس "دولة كردية"، إلى جانب تخوفها من تحوّل سورية إلى ممرٍ للغاز الطبيعي. ذلك الممر الذي تحاول أن تنفرد فيه. أما الولايات المتحدة فتهدف -في الأغلب- إلى الاستفادة من مقدرات النفط السوري، وبناء نفوذ تشاركي في منطقة شرق الفرات لموازنة النفوذ الإيراني والروسي.

ووسيلة للسيطرة على مقدرات النفط الأكبر في سورية، ركنت الولايات المتحدة إلى قوات سوريا الديمقراطية "قسد" التي استطاعت إنهاء سيطرة تنظيم الدولة "داعش" على مدينة الرقة، وأكملت تحركها، في 22 تشرين الأول/ أكتوبر 2017، حتى السيطرة على حقل العمر الذي يُعدّ أكبر حقول النفط السورية، ويقع على بعد نحو عشرة كيلومترات شمال بلدة الميادين التابعة لمحافظة دير الزور التي سيطر عليها النظام في مطلع الشهر الذي سيطرت "قسد" فيه على حقل العمر.⁶⁴ وقد مثلت هذه الحوادث أوج التسابق التنافسي بين الأطراف المتنازعة في سورية.

وإلى جانب حقل العمر، توجد في محافظة الرقة بعض النقاط النفطية الصغيرة، وتحوي الحسكة أيضاً حقول رميلان التي تتضمن 1322 بئراً، إضافة إلى وجود قرابة 25 بئراً من الغاز في حقول السويدية بالقرب من حقل رميلان، فضلاً عن الحقول الواقعة في مناطق الشدادي والجبسة والهول ومركدة وتشيرين كبيبة.⁶⁵ وجميعها تقع تحت سيطرة "قسد" أو بالأحرى وحدات حماية الشعب "ي ب ج" الكردية المدعومة من الولايات المتحدة.⁶⁶

وربما استهداف الطائرات الأميركية للميليشيات الروسية وقوات النظام السوري في الريف الشرقي لدير الزور، بسبب دخولها "مرمى نيران القوات الموالية لها"،⁶⁷ خير دليل على سعي الولايات المتحدة للمحافظة على نصيبها من الطاقة في سورية. ولقد باتت كلاسيكياً تأكيد تأثير العقلانية الاقتصادية لإدارة ترامب في مسارها السياسي، حيث تُريد الحصول على أكبر فائدة بأقل التكاليف. وفي ضوء ذلك، قد تُبقي الولايات المتحدة على السيطرة الكردية في المناطق "المفيدة" من سورية، وتدعم إنشاء حكم ذاتي لهم، من أجل المحافظة على مصالحها المذكورة.

⁶⁴"قسد" تُسيطر على حقل نفطي رئيسي شرق سورية، يورونيوز، 22 تشرين الأول/ أكتوبر 2017. <https://goo.gl/C7oRTD>

⁶⁵تعرف على أبرز الحقول النفطية بسورية"، الجزيرة نت، 24 تشرين الأول/ أكتوبر 2017. <https://goo.gl/a6HTWj>

⁶⁶المصدر السابق.

⁶⁷طائرة أميركية تستهدف قوات النظام وتدمر دبابة روسية الصنع في دير الزور"، زمان الوصل، 14 شباط/ فبراير 2017. <https://goo.gl/U2Kgh4>

حماية أمن إسرائيل

ربما غدا موضوع أهمية إسرائيل بالنسبة إلى الولايات المتحدة محط جدل بين المتابعين للشأن الدولي، بحيث يشيرون إلى أن محور التعاون بين الطرفين تراجع. غير أن مشاركة 2500 جندي أميركي في مناورات مشتركة هي الثانية والكبرى في تاريخ العلاقات الأميركية الإسرائيلية، جرت في نهاية شباط/ فبراير 2018،⁶⁸ واعتراف ترامب بالقدس "عاصمة لإسرائيل"،⁶⁹ وتخصيص 3 مليارات دولار مساعدات لإسرائيل من ميزانية عام 2019،⁷⁰ وغيرها من التطورات أشارت إلى استمرار الولايات المتحدة في التعهد بحماية أمن إسرائيل. ولا داعي لذكر مدى تأثير "اللوبي الإسرائيلي" في اضطرار إدارات الولايات المتحدة المتتالية إلى التحرك في هذا الإطار.

سَطَّر اتفاق "منطقة خفض التصعيد في جنوب سورية" الذي وُقِع عليه بين موسكو وواشنطن وعمان في تشرين الثاني/ نوفمبر 2017، دليلاً دامغاً على مسعى الولايات المتحدة في حماية أمن إسرائيل.⁷¹ وربما غابت عنه إسرائيل لتُبقي على خياراتها واسعة في التحرك داخل سورية. ويبدو أن الولايات المتحدة قد تسعى للإبقاء على بعض قواتها في سورية أو حدودها مع العراق من جهة وتركيا من جهةٍ أخرى، أو قد تميل إلى ضوغ اتفاق يحجم النفوذ الإيراني ويراقب تحركاته في عموم الأراضي السورية، من أجل توفير حماية أكبر لإسرائيل ضد محاولات إيران لاختراق أمنها.

استراتيجية الاحتواء والتطويق ضد الجماعات الإرهابية

ربما تُفضل الإدارة الأميركية الحالية على السير وفقاً لاستراتيجية "الاحتواء والتطويق"، لأنّها قليلة التكاليف العسكرية والاقتصادية، وجيدة النتائج. تلك الاستراتيجية التي تعني تقاسم التكاليف البشرية والمادية والعادية مع الحلفاء من خلال تحقيق "انتشار تشاركي" يحتوي نفوذ الخصم ويطوّقه. وبالركون إلى هذه الاستراتيجية، يتضح أن الإدارة الأميركية الحالية تُفضل اقتفاء سياسة الرئيس الأميركي السابق، باراك أوباما، القائمة على استراتيجية "الانعزال والانسحاب المباشر". ولعل سعيّ ترامب لتأسيس هذه الاستراتيجية من خلال إشراك الفاعلين المحليين والإقليميين جميعهم، قبل انسحابه من سورية، خير دليل على ذلك.

على الأرجح، تنبع السياسة "الانعزالية" رفع مستوى الأمن الوطني والخدمات الداخلية من خلال تخفيف مستوى الانتشار العسكري حول العالم، مع ضرورة البقاء "النسي" في الشرق الأوسط لحماية المصلحة الأميركية على حساب المصلحة الإيرانية والروسية، وغيرهما من الدول المنافسة.⁷² وفي إعلان

⁶⁸ وصول 2500 جندي أميركي إلى إسرائيل للمشاركة في المناورة"، وكالة سبوتنيك، 27 شباط/ فبراير 2018. <https://goo.gl/LqXnb4>

⁶⁹ "اعتزاف ترامب بالقدس عاصمة إسرائيل... ماذا بعد؟"، دويتشه فيلا، 6 كانون الأول/ ديسمبر 2017. <https://goo.gl/AYSa4X>

⁷⁰ "أميركا تدعم الجيش الإسرائيلي بـ 3.3 مليار دولار"، وكالة سبوتنيك، 13 شباط/فبراير 2018. <https://goo.gl/Zy4eYD>

⁷¹ "اتفاق الجنوب السوري أنجز بين عمان وواشنطن وموسكو"، المدن، 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2017. <https://goo.gl/bP4HFM>

⁷² المصدر السابق.

ترامب الأخير نيته الانسحاب من سورية، دليلٌ واضحٌ على رغبته في اقتفاء أثر الإدارة السابقة في تبني استراتيجية "الاكتفاء بالتطويق" الذي يكفل الإدارة الفاعلة بتكاليف معقولة.

ويكاد توجه الولايات المتحدة نحو الاكتفاء بتأسيس قواعد "دعم لوجستي" حدودية في عدد من المناطق المحورية -لا سيما محيط مثلث التنف والزكف- ومثلث الحدود السورية. العراقية. التركية، وبعض أجزاء الحدود التي تضمن لها الإمساك بزمام التحركات الجيوسياسية المستقبلية، في الأراضي السورية، ويكفل لها استخدام "العصا الغليظة" ضد الدول المنافسة، خير دليل على استمرار إدارة الرئيس ترامب في تبني هذه السياسة.

وربما نرى في تأييد الإدارة الأميركية للمسار السياسي الذي تقوده روسيا مع تركيا وإيران، بزعم أن الساحة السورية تهم هذه الأطراف أكثر،⁷³ مثالاً آخرًا على الاقتناع بهذه السياسة. وفي ظل هذه الشواهد، يبقى السؤال الأكثر طرحًا هو: كيف تخطط الولايات المتحدة للمحافظة على نفوذها الاستراتيجي "المحدود" في سورية؟

رابعًا: سيناريوهات السياسة المستقبلية للولايات المتحدة في سورية

1- سيناريو الانتشار التشاركي

يقوم هذا السيناريو على سعي واشنطن لتحقيق انسحاب نسبي أو جزئي وإحراز بقاء نسبي، ومن ثم الميل إلى تأسيس نفوذها في منطقة شرق الفرات من خلال منح الوكلاء أو الفاعلين المحليين في منطقة شرق الفرات. وحدات حماية الشعب و"البشمركة" التابعة للمجلس الوطني الكردي وقوات النخبة السورية التابعة لتيار الغد السوري وقوات الصناديد "شمّر" العربية وغيرها، دورًا في تأسيس مجالس إدارية مستقلة جزئيًا عن دمشق، للوصول إلى هدف بناء مجتمع ينعم بالتعددية السياسية، ويساندها في الحد أو موازنة النفوذ الإيراني. الروسي، ويقضي على مسببات ظهور تنظيمات متشددة كتنظيم الدولة الإسلامية "داعش".

وعلى صعيد إقليمي، تعتمد الولايات المتحدة إلى استراتيجية التعاون الإقليمي التكاملية النشط الذي قد يشمل تركيا، من خلال منحها حق الانتشار في منبج وعددٍ من المناطق الحدودية. وقد نُشرت خريطة المنطقة الآمنة التي ستحقق تركيا فيها الانتشار التشاركي مع الولايات المتحدة، في عددٍ من الصحف. وبحسب ما جرى كشفه، فإن الخريطة المُتفاوض عليها بين واشنطن وأنقرة، تمتد من نهر الساجور غربًا حتى المالكية شرقًا، وبعمق 32 كيلو متر.⁷⁴

⁷³ترامب يعلن الانسحاب من سورية ماذا حققت واشنطن؟، وكالة سيونتك، 31 آذار/ مارس 2018. <https://goo.gl/KgQ8aN>

تفاصيل المنطقة الآمنة، حرييت، 15 كانون الثاني/ يناير 2019.⁷⁴

<https://bit.ly/2AX4XTH>



المصدر: صحيفة الشرق الأوسط

لكن يبقى تحرك بعض الدول الخليجية - لا سيما الإمارات العربية المتحدة - نحو استخدام ورقة دعم النظام السوري وحزب الاتحاد الديمقراطي "بي دي د" وحتى المجلس الوطني الكردي المحالف ضمناً لتركيا أمراً محتملاً يشكل - نسبياً - معوقاً أمام تركيا التي تسعى لاستغلال تلك الورقة لمصلحتها، وفرصةً أمام الولايات المتحدة التي تبحث عن بديل نسبي لتركيا، حيث يمكن للولايات المتحدة الاعتماد على الأموال الخليجية التي يمكن أن تدخل عبر العراق وإقليم كردستان، ومن ثم تكون - أي الولايات المتحدة - غير مضطرة إلى الخضوع الكامل لتركيا التي تملك النفوذ السياسي والميزة الجيوسياسية، حيث يمكن للولايات المتحدة بذاتها بناء نفوذ مباشر على فصائل المعارضة، يضطر تركيا إلى تقديم التنازلات في بعض النقاط. ولعل جنوح واشنطن إلى الاستعانة بقوات عربية لنشرها على امتداد أجزاء من الحدود العراقية السورية، وفتح الإمارات العربية المتحدة سفارتها في دمشق، يُشيران إلى تحوّل ذلك إلى واقع.

غير أنه، إذا كانت الولايات المتحدة تُخطط لنشر معايير سياسية معينة تحفظ لها نفوذها في بعض المناطق السورية، لا سيما الشمالية والشمالية الشرقية منها، فستكون بحاجة إلى دعم تركي جيد في هذا الإطار، لجهة الموقع الجغرافي والنفوذ السياسي اللذين تتمتع بهما تركيا. وهذا ما يعني تشارك الولايات المتحدة وتركيا نسبياً في الانتشار في منطقة شرق الفرات.

ويشمل الانتشار التشاركي أيضاً عدداً من الدول العربية، الإمارات والسعودية والبحرين وقطر والكويت ومصر والأردن بمُسمى "الناطو العربي" غالباً، إذ خصهم وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو بالزيارة خلال جولته الأخيرة التي امتدت بين 8 و15 كانون الثاني/يناير 2019، إذ شدّد بومبيو، في خلال جولته، على سعي

الولايات المتحدة لتحقيق تعاون وتنسيق أكبر مع دول المنطقة. الدول التي جرت زيارتها. للعمل على طرد "آخر مقاتل إيراني" من سورية.⁷⁵

وبالاستناد إلى الأهداف التي حددتها اجتماعات بومبيو السابقة والحالية مع وزراء خارجية الدول المذكورة التي يُتوقع أن يتألف منها "الناتو العربي"، وبحسبان تلميح إدارة ترامب إلى اتباع استراتيجية "الاحتواء والتطويق" ضد النفوذ الإيراني بالاعتماد على استراتيجية "التحالف التكاملي"، يتضح أن دور "الناتو العربي" يرتكز ارتكازاً أساسياً على امتداد الحدود العراقية. السورية، لا سيما في قاعدتي "الزكف والتنف"، وبالقرب من قاعدة الأسد في العراق، وعدد من القواعد الأميركية الأخرى التي قد يجري إنشاؤها على طول الحدود العراقية. السورية أو داخل بعض المناطق السورية القريبة من الحدود العراقية. إذ يبدو أن دور "الناتو العربي" في سورية يأتي تحت راية أميركية، بهدف الانتشار على امتداد الحدود العراقية. السورية، لموازنة النفوذ الإيراني في العراق وسورية، بما يمكن من استخدام العصا الغليظة ضد طهران، في حال خرجت على النطاق المرصود لتحركها في المنطقة.

وفي إطار السيناريو ذاته، قد يحدث إشراك قوى دولية، فرنسا وبريطانيا والنرويج وإيطاليا، وغيرها، في الانتشار على طول أجزاء من الحدود العراقية. السورية، في سبيل تحقيق ذات المصلحة المشتركة القائمة على مواجهة أسباب ظهور تنظيمات إرهابية شبيهة "لداesh" من جديد، وتحجيم النفوذ الإيراني والروسي وتطويقهما.

وضمن السيناريو المذكور، تسعى واشنطن -على الأرجح- لتنفيذ خطتها عبر مجالس إدارات محلية شرعية مدعومة أميركياً وغريباً، وتتصل مع دمشق عبر حكم فدرالي أو حكم استقلال إداري جزئي. وبذلك تتفق إلى حد كبير مع التوجه الروسي الذي اتضحت معالمه برؤية غير مُعلنة رسمياً من موسكو، ولكنها ملموسة، يمكن تسميتها باسم "الشيشنة".

ترمي "الشيشنة" -التي تُحدد طبيعة الموقف الروسي من السيناريو المذكور- إلى حلٍ يُبقي على النفوذ الروسي وسيطرة النظام، مع إعادة فرز قوى المعارضة وفقاً لفصائل معتدلة "تقبل عملية التسوية" وغير معتدلة "لا تقبل بعملية التسوية" يحدث التخلص منها بتحويل الدول الإقليمية والكبرى الفاعلة والمنافسة، بعضها إلى "وكيل"، والآخر إلى "شريك" يواكبون طموحها في التحرك، حتى تحدث تسوية الأمور على النحو الذي يُبقي جميع الجغرافيا السورية وحدة واحدة، مع إمكان منح مناطق حكم إداري فدرالي مناطق عدة، كما حدث في تحرك موسكو تجاه حل قضيتي الشيشان وداغستان عام 2000.

وعند التأمل بما جرى التوصل إليه في ما يتعلق بمحافظة إدلب، يُلاحظ فعلاً كيف استطاعت موسكو تحويل أنقرة من دولة خصم إلى دولة "وكيل" أو "شريك" في عملية الحل، بحيث صاغت عملية حل قد تمنح المناطق الخاضعة للضمانة التركية استقلالاً إدارياً جزئياً، على أن يجري تطبيق الأمر ذاته في منطقة شرق الفرات. ولعل تكرار اللقاءات بين موسكو ومجلس سوريا الديمقراطية "مسد". الكيان السياسي الحاكم

⁷⁵جولة مايك بومبيو: وزير الخارجية الأميركي يدعو لحل صراعات الشرق الأوسط من أجل مواجهة نفوذ إيران"، بي بي سي، 11 كانون الثاني/ يناير 2019. <https://bbc.in/2RGN8mi>

لمنطقة شرق الفرات. من جهة، ودمشق و"مسد" من جهةٍ أخرى، يوحى بقبول موسكو لتطبيق ذات الرؤية في منطقة شرق الفرات، باستجداء التعاون الأميركي.

وضمن "الشيشنة" يكون هناك تقاسم جغرافي عسكري للمنطقة الواحدة، حيث تُقسم هذه المنطقة على الدول ذات الفاعلية، لكن تبقى -على صعيد السياسة الدولية- معترفاً بها بوصفها وحدة واحدة. وعلى الأرجح، قد ينتهي المصير السوري بدولة واحدة مستقلة ومتوازنة في علاقتها السياسية والجغرافية مع القوى المتنافسة التي ستقاسمها جغرافياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

وتجدر الإشارة إلى أن نقطة الخلاف الأساسية بين الطرفين الأميركي والروسي تكمن في محاولة كل منهما تحقيق نفوذ يكفل له الإمساك بزمام الأمور في سورية على المدى البعيد. وقد بدا واضحاً في الأزمة الأخيرة التي ظهرت على السطح، بعد ضرب النظام السوري لدوما بأسلحة كيميائية،⁷⁶ حيث هدد ترامب بضربة كبيرة، لكنه سرعان ما تراجع،⁷⁷ ربما لكسب أوراق لمصلحة بقاءه في سورية على حساب النفوذ الروسي، بحيث تحتاج الولايات المتحدة إلى ذريعة شرعية للبقاء في سورية، أو على امتداد حدودها على الأقل على المدى الطويل. فقد تستحوذ الولايات المتحدة على هذه الذريعة، باتفاقٍ مع روسيا التي تضغط بدورها على النظام للموافقة على وجودها النسبي أو الجزئي في محيط منطقة شرق الفرات. ولعل إشارة الخارجية الروسية إلى أنه لم يعد بإمكانها التنبؤ بإمكانية المحافظة على وحدة الأراضي السورية⁷⁸ يكشف جزءاً من التفاوضات التي تجري وراء الكواليس لإبقاء واشنطن على بعض من نفوذها في منطقة شرق الفرات أو محيطها.

في الحقيقة، إن بقاء الولايات المتحدة، سواء بقاء مباشراً أم غير مباشر، في شمال شرق سورية، يخدم مصالحها وحلفاءها من الخليجيين والإسرائيليين الذين يريدون تسليم أظفار النفوذ الإيراني، لكن قد تواجه الولايات المتحدة، كما سلف ذكره، اعتراضاً حقوقياً على وجودها في سورية، ما يجعلها مضطرة إلى تطويع قضية وجود أسلحة كيميائية لدى النظام السوري في بقائها في سورية بذريعة "مراقبة الأسلحة الكيميائية" أو ما يشابهها من ذرائع قد تُساق لبقائها وبعض الدول، كبريطانيا وفرنسا وألمانيا والنرويج، في سورية أو بالقرب من حدودها تحت إطار "قوة دولية" تكسب الشرعية الدولية من مجلس الأمن. وفي هذا ترسيخ واضح لاستراتيجية العصا الغليظة المستندة إلى الاحتواء والتطويق، بحيث تبقى قوة أميركية شرعية "توقف" التحرك الروسي والإيراني والسوري "النظام" في حال خرجوا على السيناريو المرسوم، بتكاليف طفيفة.

وتجدر الإشارة إلى انعدام القدرة الكاملة لروسيا وإيران في تبني عملية الإعمار بالكامل التي تبلغ تكلفتها ربع تريليون دولار أميركي تقريباً، ما قد يدفع روسيا إلى جانب النظام السوري إلى القبول بإيقاف الصراع العسكري، والدخول في عملية تقديم تنازلات متواضعة من أجل الحصول على تمويل إعادة البناء، لا سيما في ظل نزوب تلك المصادر المتوافرة في العراق.

⁷⁶ مجزرة الكيمباني في دوما: 150 قتيلًا وألف مصاب، "العربي الجديد"، 8 نيسان/ أبريل 2018. <https://goo.gl/5TrwRo>
⁷⁷ في أحدث تغريداته.. ترامب يتراجع عن موعد ضرب سورية، تاريخ الدخول: 19 نيسان/ أبريل 2018. <https://goo.gl/5CrQuT>
⁷⁸ الخارجية الروسية: لا نعلم إذا كان بالإمكان الحفاظ على وحدة الأراضي السورية، راديو الكل، 20 نيسان/ أبريل 2018. <https://goo.gl/PkCjPg>

وربما تُحدد العوامل أدناه سبب رجوح سيناريو الاحتواء والتطويق على سيناريو البقاء الكامل أو الانسحاب الكامل:

● انعدام الاستراتيجية الأميركية الواضحة حيال سورية: تتكون الإدارة الأميركية من كوادر كبيرة، اتسمت معظمها -حتى الآن- بالميل إلى النفس الطويل، واختيار مسار التفاوض في تحقيق المصالح بدلاً لمسار التحدي. وبعد مرور عام على تولي إدارة ترامب مقاليد الحكم، وفي ظل انعدام استراتيجية أميركية واضحة حيال سورية، قد يجد أعضاء الإدارة الأميركية -بما فيهم بومبيو وبولتون- أنفسهم مضطرين إلى موازنة تحركهم وفقاً لتوجه الرئيس ترامب القائم على الرغبة في تحقيق أكبر المكاسب بأقل التكاليف.

● الصفات السلوكية لترامب: تشهد الإدارة الأميركية، منذ اعتلائها سدة الحكم، تغييرات متواترة في الأركان الأساسية لها، ما شكل نظرية "سهولة استغناء رجل الأعمال ترامب عن موظفيه المتمردين"، وهذا ما قد يجعل بومبيو وبولتون يتناغمان مع طروحاته بعيداً من الخلافات العميقة التي يكمن فيها تأييدهم لتنفيذ سياسات عسكرية موسعة ضد إيران. غير أن بومبيو قد يُضفي تكتيكيًا جديدًا في التحرك الأميركي حيال سورية: تكتيكيًا يقوم على توظيف العمل الاستخباراتي الذي يقوم على حرب الدعاية السياسية أو حرب العصابات "استراتيجية الضرب من أسفل الجدران، وغيرها"، ضد روسيا وإيران.

● الساحة الدولية: ليس ترامب وحده الذي يريد الابتعاد عن الصدمات الساخنة المكلفة مع روسيا وإيران، بل بعض حلفائه أيضًا، وبالأخص فرنسا، تريد تجنب الصدام واتباع سياسة تطويق، لجهة الاستفادة من الاتفاق النووي مع إيران للاستثمار في قطاعها النفطي، وتجنب الاصطدام الفعلي مع روسيا التي تملك مكاسب سياسية واقتصادية وأمنية قد تؤثر سلبًا في الدول الغربية في ميادين أخرى، وأخيرًا التخوف من حجم التكاليف العسكرية والاقتصادية للصدمات العسكرية الساخنة أو التحركات الميدانية التي تحمل روح التحدي.

● انعدام الذريعة الشرعية: لعل انعدام الذريعة الشرعية للوجود الأميركي داخل الأراضي السورية، إذ لم تأت بدعوة من النظام السوري، وإنما أتت في إطار المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة التي تمنح الدول حق التحرك المشترك ضمن "تحالف دولي مشترك".⁷⁹ هذا التحالف الذي رمى إلى محاربة تنظيم إرهابي استغل حالة فراغ السلطة للسيطرة على مساحات واسعة من الأراضي السورية، وصولاً لتشكيل تهديد على أمن أكثر من دولة حول العالم. وبانتهاء وجود التنظيم الإرهابي "داعش". تنتهي الذريعة الشرعية للوجود الأميركي.

ويمكن للمؤشرات أدناه كشف جوانب توجه واشنطن منذ قدومها إلى سورية نحو تحقيق انتشار تشاركي:

● تأسيس قوات سوريا الديمقراطية "قسد" بإشراك وحدات حماية الشعب "الكرديّة" فصائل من المعارضة السورية من مختلف المكونات. وكان هذا أولى المؤشرات على ذلك.

⁷⁹القسم السابع من ميثاق تأسيس الأمم المتحدة.

- زيارة رئيس تيار الغد السوري، أحمد الجربا، مع كانون الأول/ ديسمبر 2018، إلى كردستان العراق، ومن ثم إحدى القواعد الأميركية الرابضة في منطقة شرق الفرات، للنظر في فحوى الدور الذي يمكن أن تحصل عليه قوات النخبة السورية التابعة لتياره في عملية الانتشار التشاركي المحلي بعد الانسحاب الأميركي. يُذكر أن الزيارة المذكورة كانت الزيارة الثالثة للجربا إلى المنطقة.⁸⁰
- زيارات المسؤولين السعوديين إلى المنطقة، وأبرزها زيارة ثامر السبهان وزير الدولة لشؤون الخليج العربي إلى الرقة، في تشرين الأول/ أكتوبر 2017، ولقائه بزعماء العشائر هناك، ما ألح إلى وجود تنسيق أميركي. عربي لدعم تأسيس مجالس إدارات محلية.⁸¹
- زيارة قوات عسكرية إماراتية. سعودية، في تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، إلى جبهات القتال مع "داعش" في دير الزور.⁸²
- لقاء وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، بمسؤولي الدول التي يُحتمل تأسيسها ل"الناو العربي"، بالتزامن مع الحديث عن الاستعداد للانسحاب.
- إشارة الصحف التركية إلى وجود تفاوضات أميركية. تركية حول إنشاء المنطقة الآمنة على طول الحدود التركية. السورية، والنظر في إشراك قوات عربية، قوات النخبة السورية و"الصانديد"، وأخرى كردية، قوات "البيشمركة" التابعة للمجلس الوطني الكردي، في الانتشار داخل هذه المنطقة.⁸³
- اتفاق منبج بين تركيا والولايات المتحدة الأميركية، والذي سمح للقوات التركية بإجراء تحركات مشتركة إلى جانب القوات الأميركية داخل بعض مناطق المدينة.⁸⁴
- انتشار قوات بريطانية ونرويجية في محيط قاعدتي "الزكف" و"التنف" الموجودتان على الحدود العراقية. السورية.⁸⁵
- انتشار بعض القوات الفرنسية في بعض مناطق شرق الفرات، لا سيما منبج، واتفاق باريس وواشنطن على إداء باريس دورًا حيويًا في تنظيم الإدارات المحلية، وتولي دور حيوي في مرحلة ما بعد الانسحاب الأميركي.⁸⁶
- وصول قوات إيطالية إلى المنطقة وانتشارها في محيط حقل العمر، وبعض المناطق القريبة من الحدود السورية. العراقية.⁸⁷

⁸⁰جلال سلمى، "الجربا للمرة الثالثة في كردستان العراق.. ما الذي يبغيه؟"، شبكة جبرون الإعلامية، 10 كانون الأول/ ديسمبر 2018. <https://bit.ly/2T7Ebie>

⁸¹جدل حول ظهور الوزير السعودي ثامر السبهان في الرقة.. ما هدف الزيارة؟"، سي إن إن، 19 تشرين الأول/ أكتوبر 2017. <https://cnn.it/2HtovVK>

⁸²"بني شفق: قوات سعودية واماراتية تتغلغل شرق الفرات"، الكوثر، 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018. <https://bit.ly/2S7CILX>

⁸³"تفاصيل المنطقة الآمنة"، حرييت، 15 كانون الأول/ يناير 2019.

<https://bit.ly/2AX4XTH>

⁸⁴اتفاق منبج مسار حل العقد أم توتر ينتج عنه تصعيد جديد؟"، سيونيك، 19 تشرين الأول/ أكتوبر 2018 <https://bit.ly/2FUSXfg>

⁸⁵جلال سلمى، "بريطانيا وإبراز دورها في سوريا.. الدوافع والأهداف"، نون بوست، 7 أيار/ مايو 2017 <https://bit.ly/2W86rU2>

⁸⁶جديد أميركا: قوات فرنسية شرق الفرات بدلاً من قسد"، سنك سوري، 5 أيار/ مايو 2018 <https://bit.ly/2DrOFng>

⁸⁷جلال سلمى، "الإيطاليون في سورية.. استفحال الاستعمار"، شبكة جبرون الإعلامية، 19 تموز/ يوليو 2018 <https://bit.ly/2AX9Wnn>

- استمرار المفاوضات بين "بيشمركة" المجلس الوطني وقوات سوريا الديمقراطية "قسد" برعاية أميركية.⁸⁸

2- سيناريو الانسحاب الكامل من الأراضي السورية

إن سيناريو انسحاب القوات الأميركية من سورية بالكامل يبدو غير منطقي لما ذكرناه أعلاه من أهداف أميركية قومية ودولية تقوم على ضرورة الحد من النفوذ الإيراني، بالمحافظة على مصالح الحلفاء بالحد الأدنى، وضبط التمدد الروسي في الساحة الدولية.

خامساً: سيناريوهات الحوكمة في منطقة شمالي شرق سورية

قد تتعدد السيناريوهات الخاصة بمسألة الحوكمة في منطقة شمال شرقي سورية، حيث سيطرة "الإدارة الذاتية". لكن انطلاقاً من التاريخ السياسي لحركة نضال الشعب الكردي، وبمراعاة المعادلات الإقليمية والدولية، يمكن الإشارة إلى السيناريوهات أدناه:

1- سيناريو الاستقلال التام

يطرح هذا السيناريو إقدام "الإدارة الذاتية" على الابتعاد عن خطابات الفدرالية التي أطلقتها من أجل تجنب الغضب الأميركي، والاتجاه -عبر الركون إلى التأييد الشعبي- صوب إعلان "سيادتها المستقلة" على المناطق التي تُسيطر عليها، بما يحول المنطقة التي تُسيطر عليها إلى دولة "أمر واقع" أو ما يُسمى "ديفاكتو"؛ أي دولة فعلية لكن غير شرعية أو غير معترف بها. ومن خلال هذا الإعلان، تُثبت سيطرتها الفعلية التي قد يقتنع بعض الدول ذات المصلحة بها، وتنطلق نحو الاعتراف بها، ومع الوقت تُصبح دولة مُستقلة مُعترفاً بها. ويُشابه طرح هذا السيناريو ما حدث في إعلان جمهورية مهاباد، في عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث مال بعض القادة الأكراد، وبالأخص الزعيم الكردي قاضي محمد، إلى الاستفادة من نمو الحركة القومية التحررية الكردية، والعوامل الدولية القائمة على الصراع، لا سيما الصراع السوفياتي. البريطاني حول تقاسم النفوذ في إيران، لإعلان الاستقلال عن إيران.⁸⁹

في الحقيقة، هناك تشابه كبير بين حالي مهاباد و"كردستان سورية"، فكلاهما حظي بدعم دولي، وسيطر على ما نسبته 30 في المئة من أراضي الدولة الأم، وسط تغيّرات دولية أتت نتيجة صراع دولي على المميزات الجيوسياسية والمقدرات النفطية والريعية للدولة الأم. وفي ضوء ذلك، يُساق احتمال ركون

⁸⁸قيادي بالبيشمركة السورية: سندخل إلى شمال سورية خلال أيام"، عربي 21، 19 كانون الأول/ديسمبر 2018 <https://bit.ly/2HpLHUr>
⁸⁹نجدت عقراوي، "تجارب الحكم الكردية.. رؤية نقدية"، الجزيرة نت، 21 أيار/مايو 2006. <https://goo.gl/JU6ZgM>

"الإدارة الذاتية" إلى الدعم الأميركي، مقابل تقديم كميات من الامتيازات النفطية، في إعلان تأسيس كيانه المستقل عن سورية في مناطق سيطرتها.

لكن يبدو أن هذا السيناريو غير محالكٍ لواقع لعوامل عدة:

● الانحباس الجغرافي: ربما لم يكن هذا العامل الأساسي في سقوط مهاباد، لكنه يكاد يشكّل عاملاً أساسياً لإقناع مسؤولي الدول المتصارعة في إيران سابقاً، وسورية حالياً، في عدم الإقدام على تقديم دعم مديد لمنطقة مُنحبة جغرافياً، وتُقاسي رفضاً إقليمياً؛ يتمثل في الرفض التركي والإيراني، ودولياً؛ يتمثل في الرفض الروسي الصارخ. فلو أقدمت "الإدارة الذاتية" على إعلان الاستقلال في منطقة جغرافية مُطلّة على منفذ دولي بحري، لكان سيناريو الاستقلال قريباً من المنطق، لكن في ظل الانحباس الجغرافي، لا يُتصور أن يكون إعلان الاستقلال إلا مقدمة لعكس حالة جنوب السودان في منطقة سيطرة "الإدارة الذاتي". إذ تعاني دولة جنوب السودان حالة انحباس جغرافي اضطرها إلى البقاء خاضعة للدولة الأم وتابعة لها، وجعلها مسرحاً للفوضى وانتشار الأمراض، وغيرها من الآفات التي قد تدفع أطرافاً كردية -سياسية وشعبية- إلى رفض إعلان حالة الاستقلال.

● معادلة الصراع الدولي الخاصة بمهاباد ذاتها: كان الهدف السوفياتي من البقاء في إيران لما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، هو الحصول على امتيازات نفطية، وهو الهدف الأميركي ذاته الذي يُضاف إليه رغبة الولايات المتحدة في تطبيق استراتيجية "العصا الغليظة" بالاعتماد على "الاحتواء والتطويق"، بغية مواجهة النفوذ الإيراني. وبذلك يمكن لموسكو إقناع واشنطن بالابتعاد عن دعم هذا السيناريو، من خلال دفع دمشق إلى منحها امتيازات نفطية، إضافة إلى إظهار ذاتها دولة يُمكن أن تواجه إيران، فضلاً على إمكان التلويح بإعاقه حل أوراق تشكّل خطراً على الأمن القومي للولايات المتحدة؛ بمثل ورقة حل الأزمة الكورية. في السياق ذاته، تجدر الإشارة إلى أن التوجه الأميركي إلى إبقاء إقليم "كردستان سورية" بحاجة إليه، بعيداً عن تحوله لدولة إقليمية، تنوع حلفائها باتفاقيات اقتصادية واجتماعية وأمنية. ووجود مؤشرات عدة لانسحاب واشنطن ونضوب وجود مؤشرات دعمها لأي مشروع انفصالي.

● الخلاف البنيوي الكردي الداخلي: قد تدفع حالة التخوف من الغموض الذي قد يولد فوضى عارمة بعد هذه الخطوة التي جرت مواجهتها بحصار خانق ضد إقليم "كردستان العراق"، الأحزاب السياسية؛ وبالأخص المجلس الوطني الكردي، والمنظمات الشعبية، لمعارضة هذه الخطوة، لا سيما في ظل انعدام التوجه السياسي والشعبي إلى إعلان الاستقلال على نحوٍ كامل.

● انعدام التوافق الكردي الشعبي على عملية الاستقلال الكاملة، وشعور عدد كبير من المواطنين الأكراد بالانتماء السوري، فضلاً عن الشعور الجماعي باحتمال نشوب حالة فوضى عارمة في حال حدث الإقدام على هذه الخطوة، إضافة إلى عدم وجود قبول شعبي تام لتوجهات "الإدارة الذاتية" اليسارية المتناقضة مع التوجهات المحافظة لسكان المنطقة.

- انعدام تعدد الميزات الجيوسياسية والجيواقتصادية المُقنعة للدول الداعمة: لا يوجد غير النفط، وجزء من القمح، والموقع الجغرافي المتوسط لسورية والعراق وتركيا، يُقنع الدول الداعمة -لا سيما الولايات المتحدة الأميركية- بالتوجه نحو الاستثمار الأمني والسياسي في هذه المنطقة. لكن لا يُتوقع أن تكفي هذه العناصر لدفع الولايات المتحدة نحو خلق حالة صراع إقليمية ودولية واسعة من أجل الدفاع عن استقلال هذه المنطقة معدومة الميزات الجيوسياسية والجيواقتصادية المميزة والمتعددة.
- وجود تدخل تركي مباشر في سورية لإجهاض هذا المشروع، ما يعني إمكان اتجاه تركيا -بوصفها دولة ضامنة لعملية الحل، بالتعاون مع روسيا وإيران، وحتى النظام- نحو إفساد هذا المشروع الذي يهدد الأمن القومي لتركيا وإيران على وجه التحديد؛ حيث تحتضنان عددًا كبيرًا من المواطنين الأكراد، ويهدد الرغبة الروسية في ترسيخ نفوذها الاستراتيجي الأوسع والأكبر في سورية التي لطالما احتضنت قواعدها العسكرية الكبرى في منطقة الشرق الأوسط.

2- سيناريو الحكم الكونفدرالي

يُشير مُصطلح الحكم الكونفدرالي إلى "إطار سياسي ومؤسسي تندمج فيه دول عدة مدفوعة برغبة في تسيير مشترك لبعض المصالح من دون أن تتخلى أي منها عن أي جزء من سيادتها الوطنية، وإنما يقتصر الأمر على تفويض بعض الصلاحيات ومجالات التسيير للإطار الكونفدرالي مثل الاقتصاد والمالية والجمارك. ويُتخذ القرار بالإجماع، فإذا رأت إحدى الدول الأعضاء أن قرارًا ما ليس في مصلحتها، لا يكون مُلزمًا لها".⁹⁰ وبخلاف الحكم الفدرالي، يقتصر الحكم الكونفدرالي على الإطار المؤسسي الاتحاد للدول الأعضاء، من دون تشعبه للواقع الاجتماعي والسياسي الداخلي للدول الأعضاء.

ويُشار إلى أن الحكم الكونفدرالي يعني اتحاد دول. وبإسقاطه على الحالة السورية، يعني استقلال مناطق سيطرة "قسد" بالكامل، واتحادها مع دمشق على نحو كونفدرالي يضمن لها الاستقلال الكامل، ويكفل لها حق قبول قرارات دمشق أو رفضها. لكن بوضع معوقات قيام سيناريو "كردستان العراق"، و"مهباد" في الحسبان، يُصبح هذا السيناريو غير مرجح.

3- سيناريو الحكم الذاتي "كردستان العراق"

يقوم هذا السيناريو على اقتراح تحول المنطقة ذات الأغلبية الكردية في سورية إلى ما يشابه حالة "كردستان العراق"، ليُصبح هناك "كردستان سورية".

لقد أسس "كردستان العراق" وسط حالة الوهن التي أصابت العراق بعد اجتياحه العسكري للكويت في آب/ أغسطس 1990، حيث حدثت انتفاضة شعبية في 5 آذار/ مارس 1991، داخل مناطق "كردستان

⁹⁰الكونفدرالية"، موسوعة الجزيرة، 31 كانون الأول/ ديسمبر 2015.

<https://goo.gl/JREuVp>

العراق"، أسفرت عن سيطرة الانتفاضة على معظم المناطق الكردية في العراق حتى 21 آذار/ مارس، حيث عادت القوات العراقية لتسيطر على هذه المناطق. ومع بدء الهجرة الكردية المليونية إلى إيران وتركيا، ظهرت مبادرة دولية أدت إلى قرار مجلس الأمن الدولي رقم 688، لعام 1991 الذي قضى بضرورة إجراء بغداد تفاوضات مع أحزاب الجبهة الكردستانية، غير أن التفاوضات المذكورة باءت بالفشل، ونتيجة للضغوط الدولية اضطرت الحكومة العراقية إلى سحب موظفيها وقواتها من مدن أربيل والسليمانية ودهوك في تشرين الأول/ أكتوبر 1991، لتشهد هذه المناطق حكم سلطة الأمر الواقع، ومن ثم إجراء انتخابات لبرلمان كردي في حزيران/ يونيو 1992، تمخض عنها أول حكومة كردية داخل كردستان العراق.⁹¹

وعلى الرغم من منح المبادرة الدولية للمناطق الكردية في العراق حكمًا ذاتيًا، إلا أنها واجهت حصارًا دوليًا وعراقيًا داخليًا، واقتتالًا داخليًا بين الحزبين الرئيسيين، الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني، استمر حتى اتفاقية واشنطن المُبرمة بين الطرفين عام 1998.⁹²

وبعد الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003، ضمن الدستور العراقي الصادر في إثره -لا سيما في المادة 116 منه- استمرار الحكم الذاتي الأقاليمي اللامركزي لمحافظة العراق جميعها في إطار دولة اتحادية مركزها بغداد، لكن بالتركيز على منح إقليم كردستان صلاحيات أوسع تجلّت في الاعتراف بسلطته السياسية والأمنية القائمة، مع منحه تمثيلًا "مكاتبياً" في السفارات والقنصليات الخارجية، وإقامة حكم تنفيذي وتشريعي وقضائي مستقل.⁹³ وتميز "كردستان العراق" عن الأقاليم العراقية الأخرى، بالاعتراف الأولي والمباشر بحكمه الذاتي، وإبقاء الأقاليم الأخرى محافظات تتبع الحكومة المركزية، على أن يجري منحها نظريًا، حرية تأسيس إقليم من خلال استفتاء يجري عبر مجلسها أو من خلال سكان المحافظة.⁹⁴ وهذا ما جعل النظام الاتحادي في العراق نظامًا يختلف عن الفدرالية، إذ مُنح مساحةً استقلاليةً واسعةً لم تُمنح للأقاليم الأخرى.

وفي ضوء ما هو مطروح أعلاه، يُطرح سيناريو إعلان "كردستان سورية" بوصفها حالة مشابهة "لكردستان العراق"، انطلاقًا من وجود سلطة أمر واقع "ديفكتو" كردية قائمة في سورية، ووجود سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية في الإقليم، والمتبقي هو فقط اعتراف دستوري بالحكم الذاتي للإقليم، مع منحه حصة منتظمة من ميزانية سورية السنوية كما هو الحال بالنسبة إلى "كردستان العراق".
قد يبدو هذا السيناريو، من ناحية نظرية، واقعيًا وممكنًا، غير أنه من الصعب ترجيح قيامه، لمعايير عدة ربما أبرزها:

● تنعم دمشق -على العكس من بغداد سابقًا- بحليفين دوليين، روسيا والصين، يستعان بهما، مقابل امتيازات عسكرية ودبلوماسية واقتصادية، لإعاقة منح حالة الحكم الذاتي. ويمكن لهذين الحليفين أن يضغطا على القطب الغربي من خلال أوراق مساومة في ميادين أخرى، وبالأخص ورقة مطالبة التحالف

⁹¹ أسماء سعد الدين، "الحرب الأهلية في كردستان"، المرسل، 3 كانون الأول/ ديسمبر 2015. <https://goo.gl/KZZko5>

⁹² المصدر السابق.

⁹³ دستور جمهورية العراق، موقع مجلس النواب العراقي.

<https://goo.gl/fqJzxB>

⁹⁴ المصدر السابق.

الدولي بمغادرة الأراضي السورية، لأن وجوده غير شرعي، بحيث يمكن أن تركز روسيا والنظام السوري إلى حربي الوكالة أو العصابات. وهي حروب ومواجهات لا يرغب فيها القطب الغربي الساعي للاستفادة من الامتيازات النفطية وبعض المواقع الجغرافية التي تمكنه من الإبقاء على التأثير في مسار تسوية الأزمة السورية وما بعدها. ويزداد إمكان ضغط هذين الحليفين، لا سيما روسيا، في ظل عدم قبول حزب الاتحاد الديمقراطي في المؤتمرات الدولية الخاصة بحل الأزمة لغاية الآن.

• الميل الأمريكي، في ظل الإدارتين السابقة والحالية، إلى تحقيق انعزالية وانسحاب تكتيكي من منطقة الشرق الأوسط، والتوجه نحو الشرق، أي شرق آسيا؛ حيث احتياطات الغاز الطبيعي الهائلة، وجغرافيا قريبة من المنافس الأكبر اقتصادياً، والساعي لفتك النفوذ الأمني والتجاري والمعلوماتي والتمويلي للولايات المتحدة، ألا وهي الصين. وبجانب هذا التوجه، تُظهر الإدارة الحالية توجهًا صارخًا نحو الاكتفاء باستراتيجيتي "العصا الغليظة" التي تعني التدخل المتغير، "والاحتواء والتطويق" التي تعني التكامل الإقليمي لمواجهة "الدولة المارقة الخارجة على مسار الطموح الأمريكي"، انطلاقًا من ضرورة تخفيض تكاليف الدور القيادي الأمريكي في الشرق الأوسط، باهظ الثمن وعديم العائد المُجدي.

• انعدام حالة الانتفاض الشعبي الكردي المطالب بالحكم الذاتي التي قد تشكل ذريعة شرعية تستند إليها الإدارة الذاتية. بل قد يكون هناك انتفاضة شعبية كردية ضد الإدارة الذاتية، في حال جرت التسوية في مناطق سورية الأخرى، واستمرت حالة التدهور الاقتصادي، والخنق الاجتماعي، والتجاذب السياسي الحاد بين الأحزاب الكردية، في مناطق سيطرة الإدارة.

• استمرار الوجود الفعلي لمؤسسات النظام السوري وقواته في مناطق سيطرة الإدارة الذاتية؛ مؤشراً لوجود سيادة فعلية للنظام، وانعدام أي تحرك عسكري. كيميائية أو جرائمي. للنظام بحق المواطنين الأكراد.

• احتمال ميلاد حالة تكاتف التركي. الإيراني ضد هذا السيناريو، كما ظهر للسطح حين اتجه "كردستان العراق" إلى الاستقلال في أيلول/سبتمبر 2017.

4- سيناريو "الفدرالية النسبية"

يميل هذا السيناريو إلى ترجيح سيناريو حكم الإدارة الذاتية المُستقلة نسبيًا، أو ما يُطلق عليه مُصطلح "حكم الفدرالية". اصطلاحًا يعني مصطلح الفدرالية باللغة العربية الاتحادية. وتعني الفدرالية نظام حكم تنقسم فيه الدولة إلى ولايات أو مقاطعات عدة، تكون على رأسها مقاطعة "العاصمة"، تمثلها في الخارج، ولها حق السيادة عليها، كذلك لها الحق في تنظيم علاقاتها وتنسيقها على الصعيدين الداخلي والخارج بحكم دستوري. وتكون المقاطعات في الحكم الفدرالي مستقلة ذاتيًا، تتحد في ما بينها تحت قبة برلمان مركزي،

يحتضن ممثلين عنها وفي إطار الفدرالية، تحظى الأقاليم بحق السيادة على حدودها الطبيعية، بما يشمل السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية.⁹⁵

لكن يختلف السيناريو المطروح؛ أي سيناريو الفدرالية النسبية"، مع التوجه النظري للفدرالية، في نقطة نسبية أو جزئية السيادة الممنوحة للأقاليم. وتنبع صيغة السيناريو المطروح من الخطط التي طرحتها الدول الفاعلة في المسألة السورية، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحادية الروسية. وتقوم صيغته على احتمال منح مناطق شرق الفرات استقلالاً إدارياً ثقافياً أمنياً محدوداً، على أن تبقى متصلة سياسياً بنظام حكم مناطق مع دمشق.

وإلى جانب الخطط، يُلاحظ من التحركات التي أبدتها هذه الدول حيال سورية، أنّ سيناريو الفدرالية النسبية فعلاً هو السيناريو المرشح منها. أيضاً، تجدر الإشارة إلى أن سيطرة الإدارة الذاتية في مساحات واسعة من المناطق، باتت فعلية وبحاجة إلى تسوية دولية وداخلية لتحويلها إلى شرعية وفق ما يواتي مصالح الأطراف الفاعلة، لا سيما في ظل منادة الأحزاب الكردية الفاعلة بحكم الفدرالية، فضلاً عن كونها تأتي في إطار تمثيل الولايات المتحدة على نحوٍ غير مباشر، لذا لا بد من التوصل إلى سيناريو يُمثل الحل الوسط بين حرص روسيا على إبقاء سورية وحدة جغرافية واحدة، ورغبة الولايات المتحدة في الإبقاء على نفوذ نسبي جزئي يضمن لها فائدة من مقدرات سورية النفطية، ويحفظ أمن حلفائها، الدول الخليجية وإسرائيل الذين يريدون تقليص نفوذ إيران في المنطقة.

وانطلاقاً من الواقعية السياسية، واستناداً إلى ملف إعادة الإعمار، كسلاح ضغط على النظام السوري وداعمه الروسي، تسعى الولايات المتحدة لإتمام عملية بناء مجتمع ينعم بالتعددية السياسية في إطار حكم المجالس الإدارية الديمقراطية التي تساهم في الحد من النفوذ الإيراني، وتقضي على مسببات ظهور تنظيمات متشددة كتنظيم الدولة الإسلامية "داعش".⁹⁶

ويُلاحظ أن الخطة الأميركية الموضحة جوانبها ضمن سيناريو الانتشار التشاركي، تؤمن بالفدرالية اللامركزية، لكن وفق حكم المجالس الإدارية الشرعية التي يجري تشكيلها وتأسيسها عن طريق انتخابها من سكان المناطق. وترى الورقة أن هذه الخطة لا تعني أن يحدث تنفيذها في مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية فقط، بل يمكن التأسيس في مناطق سيطرة قوات المعارضة الموالية لأنقرة أيضاً.

وبإمكان تنفيذ هذه الخطة ودسترتها، من خلال الركون إلى الضغط على روسيا والنظام السوري عبر ورقة إعادة الإعمار، حيث تُشير التقديرات إلى أن تكلفتها تبلغ 250 مليار دولار، ومن ثم لا تستطيع موسكو تحملها من دون سماح الولايات المتحدة للمؤسسات التمويلية التي تتبعها؛ صندوق النقد والبنك الدوليين، لتمويل جزء كبير منها، أو من دون سماح الولايات المتحدة بعقد مؤتمر تمويلي يتضمن رفع الحصار الاقتصادي المفروض على النظام السوري الذي يصعب عليه استقبال أموال إعادة الإعمار وتفعيلها من دون رفع الحصار عنه.

⁹⁵ "ما هو النظام الفيدرالي؟"، المرسل، مصدر سبق ذكره.

⁹⁶ "خطة سلام من أجل سوريا (4): ربط مساعدات إعادة الإعمار بتشكيل الحكومة المحلية"، أمال وشفان (مترجمة)، إدراك للدراسات والاستشارات، 30 تشرين الأول/نوفمبر 2017. <https://goo.gl/vcXWbk>

وفي هذا الإطار، تجدر الإشارة إلى أن أنقرة التي تقبل بالمجلس الوطني الكردي، وحاولت التفاوض مع الاتحاد الديمقراطي في مطلع عام 2014، لا تعارض التوجه الدولي نحو إقامة استقلال نسبي. لكنها ترفض الهيمنة الكاملة للاتحاد الديمقراطي، انطلاقاً من ارتباطها العضوي بالعمال الكردستاني، أيضاً ترفض توجه الاستقلال أو ميلاد كردستان عراق جديد.

ولعل وضع المؤشرات المذكورة أدناه في الحسبان، تُلامس واقعية كبيرة من توجه الولايات المتحدة نحو تأسيس المجالس الإدارية المذكورة، بما يشمل القوميات جميعها الموجودة في مناطق نفوذها، بعيداً عن تحدي الطموح الروسي في منح إدارة ذاتية نسبية لهذه المجالس التي سيكون لها سيادة سياسية وأمنية واقتصادية نسبية توفر للولايات المتحدة نفوذاً غير مباشر، أو حتى نفوذاً مباشراً قريباً من المناطق الحدودية:

- ميل واشنطن إلى تأسيس مجلس حكم محلي في مدينة منبج ومناطق الرقة.
- غضبها الطرف عن سيطرة أنقرة على عفرين التي تقع غرب الفرات؛ حيث لا أولوية أميركية لهذه المنطقة، ومن ثم لا حاجة إلى دعم سيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي هناك.
- تأسيس قوات سوريا الديمقراطية بخليط ديموغرافي؛ عربي وكرد وسيرباني.
- دفع "قسد" إلى السيطرة على مناطق عربية، تحوي مقدرات ريعية، كتلك المناطق الواقعة في الرقة والريف الشرقي لدير الزور، ما يوحي بقوة بوجود توجه أميركي نحو تطبيق سيناريو الحكم المناطقي الفدرالي البعيد عن منح حكم ذاتي بصيغة "كردستان العراق".
- دفع مجلس سوريا الديمقراطية إلى التفاوض مع دمشق عشية لقاء هلسنكي الذي حصل بين الرئيسين ترامب وبوتين.

وفي الحقيقة، تتوافق الخطة الأميركية المطروحة إلى حد كبير مع الطرح الروسي الذي عبر عن رؤيته غير المعلنة للحل، وهي "الشيشنة" التي تصبو إلى حلٍ يستوعب سلطات الأمر الواقع التي تقبل بالنفوذ الروسي السياسي وسيطرة النظام السيادية؛ ليس بالضرورة الجغرافية في إطار اتحادي فدرالي يمنحها حكماً ذاتياً نسبياً، كشف مساحته أحد نماذج الدساتير الروسية التي طرحها موسكو على فصائل المعارضة على هامش محادثات آستانة، وعبرت موسكو عن قبولها به من خلال التوافق مع أنقرة على تطبيق الأمر في الشمال، ما قد يجعل رجوع السيناريو المذكور هو الأقرب إلى الواقع.

وقد عبرت موسكو عن جوانب السيادة التي يمكن أن تقبل بأن تحظى بها المجالس الإدارية في أحد نماذج الدساتير الروسية الذي يُعدّ وثيقة ملموسة للتوجه الروسي، وانعكست بعض جوانبه على مخرجات مؤتمر رياض 2 الذي حدد أعضاء هيئة تفاوض جديدة للمعارضة السورية، على النحو الآتي:

- الاعتراف بتعدد القوميات والثقافات في سورية بحسب ما تنص عليه المادتان الأولى والثانية من مقترح الدستور الروسي⁹⁷ اللتان تُسقطان كلمة "العربية" من اسم الجمهورية السورية، وقد عبر

⁹⁷مشروع روسيا لدستور روسي جديد. <https://goo.gl/uvzVAU>

المجتمعون في الرياض 2 عن التزامهم بأن "سورية دولة متعددة القوميات والثقافات، ويضمن دستورها الحقوق القومية للمكونات جميعها من عرب وكرد وتركمان وسريان وأشوريين".⁹⁸

● تخصيص القومية الكردية بمنحها الحكم الذاتي الإداري والثقافي: وهذا ما نصت عليه المادة الرابعة من مقترح الدستور الروسي التي أشارت إلى "حق الأقلية الكردية في تأسيس أجهزة حكم ذاتي ثقافي تُستخدم فيها اللغتين العربية والكردية بوصفهما لغتين متساويتين"،⁹⁹ وقد قبل بيان رياض 2 بذلك مطالبًا "بالغاء السياسات التمييزية والاستثنائية جميعها التي مورست بحقها، وعدّ القضية الكردية قضية وطنية".¹⁰⁰ ولعدّ القضية الكردية قضية وطنية دلالات على السير صوب منحها حل تسوية على الأرجح هو حكم ذاتي إداري. ثقافي لا يخرج عن إطار توجه المعارضة التي تُمثل بدورها توجه أنقرة بصورة أساسية.

● الاعتراف بفدرالية سورية أو لامركزيتها: تلمح المادة الثانية من مقترح الدستور الروسي أن سورية دولة فدرالية تتألف من جمعية الشعب "مجلس النواب"، وجمعية المناطق "مجلس الشيوخ" اللتين يُمثلهما في الساحة الدولية، بحسب المادة 45، رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. وهذا ما يُشير إلى وجود مناطق بحكم فدرالي لامركزي نسبيًا ترتبط ببعضها تحت قبة برلمان واحد. وبحسب المادة 15 من مقترح الدستور الروسي أيضًا أن سورية دولة تتكون من وحدات إدارية يرتكز نظام حكمها على مبدأ لامركزية السلطات والمسؤوليات. من جانبه، يُشير البيان إلى أن "سورية ستكون دولة ذات نظام حكم ديمقراطي على مبدأ اللامركزية الإدارية".

● التشديد على أن سورية وحدة واحدة لا يجب تغيير حدودها بالقوة: فيما يحاول مقترح الدستور الروسي المحافظة على وحدة سورية، وعدم منح أي أقلية حق الانفصال أو الاستقلال، والمقصود هنا بلا شك الأقلية الكردية، عبر التأكيد في مادته التاسعة ضرورة إجراء استفتاء عام يشارك فيه مواطنو سورية كلهم، شدد البيان على النقطة ذاتها، بما يُخرج للنور رسالة مفادها بأن سورية قد تبقى في حال صدام مستمر في حال اتجهت جهة دولية إلى دعم جهة داخلية للانفصال. وبالأحرى هذه الرسالة موجهة إلى الولايات المتحدة، لحثها على القبول بألية حل لمناطق السيطرة الكردية عبر التوافق بعيدًا عن الدعم المباشر للانفصال.

وتعمل روسيا اليوم من خلال إرغام القوى السياسية السورية على إخراج مسودة مشابهة لمقترحها الدستوري، بحجة ضرورة تصريف هذه القوى بالواقعية، وأخذ هذه المسودة إلى مؤتمر سوتشي، لإضفاء موافقة القوى الإقليمية عليها، ومن ثم سحبها، في ظلال تحرك دبلوماسي حيوي، إلى مؤتمر جنيف، لإكسابها الشرعية الدولية التي تعني إقناع الدول الكبرى، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، بالموافقة على هذه المسودة بوصفها مطلبًا للشعب السوري.

وفي إطار ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن هذه المقترحات يجري التشاور عليها، الآن، في اللجنة الدستورية الدولية التي تضم ممثلين عن أنقرة وموسكو وطهران والمعارضة، ويُتوقع أن تنتهي من أعمالها وتفاوض،

⁹⁸النص الكامل لمسودة البيان الختامي لمؤتمر "الرياض-2"، المدن، 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 2017. <https://goo.gl/1xjyVs>

⁹⁹مشروع روسيا لدستور روسي جديد، مصدر سبق ذكره.

¹⁰⁰النص الكامل لمسودة البيان الختامي لمؤتمر "الرياض-2"، المدن، مصدر سبق ذكره.

بوصفها قوة دولية مُجتمعة ومفوضة من مجلس الأمن، مع واشنطن، للوصول إلى نقطة حل وسط. وهذا ما يُعزز رجوح سيناريو الاستقلال الفدرالي النسبي المُغاير لصيغة كردستان العراق، والقائم على استقلال إداري ثقافي أمني نسبياً، لكن بالبقاء ضمن السيادة السياسية والقضائية والتشريعية الكلية لدمشق.

خاتمة

تتجه الأزمة السورية نحو عملية تسوية شاملة جرى إتمام جزء كبير منها من خلال مسارات أستانة وسوتشي وإسطنبول. لكن تبقى منطقة سيطرة قوات سوريا الديمقراطية "قسد"، المنطقة الأكثر تعقيداً مقارنة بالمناطق الأخرى التي لم يحتج النظام السوري -بدعمٍ من روسيا وإيران- إلى عمل كثير في ترويضها والسيطرة عليها. ولعل سيطرة قوات التحالف الدولي، بزعامة الولايات المتحدة، هي السبب الأساس وراء هذا التعقيد. غير أن حالة اختلاف وجهات نظر الشعب الكردي السوري أحزاباً وشعباً حيال مصيره، وانعدام التوافق السياسي بين القوى الكردية الفاعلة، والصفة الجغرافية للمنطقة، حيث تُعدّ منطقة جغرافية حبيسة، وغيرها من العوامل تزيد من تعقيد مصير هذه المنطقة.

وبوضع عوامل التعقيد المذكورة أعلاه في الحسبان، تمحورت الدراسة حول النظر في المنهجية السياسية للقوى الكردية، وتوجهات الدول الفاعلة حيال طموح هذه القوى، ومن ثم التنبؤ بسيناريوهات مصير سيطرة "قسد" على المدى البعيد. وفيما جرى طرح سيناريو الاستقلال التام، كردستان العراق، الفدرالية النسبية، الكونفدرالية، كسيناريوهات مُحتملة لمصير سيطرة "قسد"، جرى ترجيح سيناريو الفدرالية النسبية، انطلاقاً من وجود ملامح توافق دولي حوله، إضافةً إلى وجود ملامح قبول إقليمي، تركي إيراني، اضطراري وواقعي به، فضلاً عن وجود ملامح قبول النظام السوري الذي بات يعمل بانسجام سياسي استراتيجي واضح مع التوجه الروسي حيال المسألة السورية، فضلاً عن وجود ملامح لقبول المواطنين الأكراد السوريين بهيكلية حوكمة تضمن حقوقهم بعيداً عن السيطرة الكاملة للنظام السوري، وحتى قوات سوريا الديمقراطية "قسد" أو ما يُطلق عليها "الإدارة الذاتية".



harmoon.org

